

وداع الرسول ﷺ لأمته

دروس، ووصايا، وعبر، وعظات

تأليف الفقير إلى الله تعالى

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

ح سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القحطاني ، سعيد بن علي بن وهف.
وداع الرسول ﷺ لأمته . - الرياض .
١٦٠ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم
ردمك : ٢ - ٤٤ - ٠ - ٣١ - ٩٩٦٠

١- السيرة النبوية   ٢- الشمائل المحمدية
أ - العنــــوان
ديوي ٢٣٩,٦   ١٦/ ١١٤٣

رقم الإيداع: ١٦/١١٤٣
ردمك: ٢ - ٤٤ - ٠ - ٣١ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

جمادى الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة في وداع النبي الكريم والرسول العظيم ﷺ لأمته، بينت فيها باختصار: خلاصة نسب النبي ﷺ، وولادته، ووظيفته، واجتهاده وجهاده، وخير أعماله، ووداعه لأمته في عرفات، ومنى، والمدينة، ووداعه للأحياء

والأموات، ووصاياه في تلك المواضع، ثم بداية مرضه، واشتداده، ووصاياه لأمته ووداعه لهم عند احتضاره، واختياره للرفيق الأعلى، وأنه مات شهيداً، ومصيبة المسلمين بموته، وميراثه، ثم حقوقه على أمته، وذكرت الدروس والفوائدِ والعبر والعظات المستنبطة في آخر كل مبحث من هذه المباحث.

والله أسأل أن يجعله عملاً مقبولاً نافعاً لي ولإخواني المسلمين؛ فإنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وأن يعلمنا جميعاً ما ينفعنا، ويوفق جميع المسلمين إلى الاهتداء بهدي سيد المرسلين. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا وقدوتنا وحبيبنا محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

المؤلف

حرر في ليلة الخميس ٢١/ ٣/ ١٤١٦هـ

المبحث الأول: خلاصة نسبه ووظيفته ﷺ

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كِلاَب بن مـرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُـضر بن نـزار بن معدّ بن عـدنان[1]، فهو عليه الصلاة والسلام من قريش، وقريش من العرب، والعـرب من ذرية إسماعيـل بن إبراهـيم عليـه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام[2].

ولد ﷺ عام الفيل بمكة في شهر ربيع الأول[3]

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي ﷺ ٧/ ١٦٢.

(٢) انظر نسب النبي ﷺ إلى آدم: البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ١٩٥، وسيرة ابن هشام ١/ ١.

(٣) هذا هو الصحيح المشهور أنه ولد ﷺ عام الفيل في شهر ربيع الأول، وقد نقل بعضهم الإجماع على ذلك، انظر: تهذيب السيرة للإمام النووي ص ٢٠.

يوم الإثنين[1] الموافق ٥٧١م[2]، وتوفي ﷺ وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها: أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًا رسولاً، نُبِّيءَ باقرأ، وأرسل بالمدثر، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرج به إلى السماء،

---

(١) التحديد بيوم الاثنين ثابت؛ لقوله ﷺ حينما سئل عن صومه: «فيه ولدت وفيه أُنزل عليَّ» مسلم ٢/ ٨٢٠. أما تحديد تاريخ اليوم ففيه عدة أقوال: فقيل في اليوم الثاني، وقيل لثمان، وقيل: لعشر، وقيل: لسبعة عشر، وقيل في الثاني عشر، وقيل غير ذلك، وأشهر وأقرب الأقوال قولان: الأول: أنه ولد لثمان مضين من ربيع الأول، ورجحه ابن عبدالبر عن أصحاب التأريخ: انظر: البداية والنهاية ٢/ ٢٦٠ وقال: «هو أثبت». القول الثاني: أنه ولد في الثاني عشر من ربيع الأول، قال ابن كثير في البداية والنهاية: «وهذا هو المشهور عند الجمهور» ٢/ ٢٦٠، وجزم به ابن إسحاق: انظر: سيرة ابن هشام ١/ ١٧١.

(٢) انظر: الرحيق المختوم ص ٥٣.

وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمِر بالهجرة إلى المدينة، فلما استقر بالمدينة[1] أُمِر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، والأذان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك، أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي ﷺ، ودينه باقٍ وهذا دينه، لا خير إلا دلَّ أمته عليه، ولا شر إلا حذَّرها منه، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين لا نبي بعده، وقد بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على الجن والإنس، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار[2].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد

---

(١) وصل إلى المدينة ﷺ يوم الإثنين من شهر ربيع الأول وحدده بعضهم باليوم الثاني عشر من ربيع الأول، انظر: فتح الباري ٧/ ٢٢٤.

(٢) انظر: الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٧٥، ٧٦.

والعبر والعظات في هذا المبحث كثيرة منها:

١ ـ إن النبي ﷺ خيار من خيار من خيار، فهو أحسن الناس وخيرهم نسباً، وأرجح العالمين عقلاً، وأفضل الخلق منزلة في الدنيا والآخرة، وأرفع الناس ذكراً، وأكثر الأنبياء أتباعاً يوم القيامة.

٢ ـ إن إقامة الاحتفالات بمولد النبي ﷺ كل عام في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول بدعة منكرة؛ لأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك في حياته، ولم يفعله الصحابة من بعده رضي الله عنهم، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، ومع ذلك فإن تحديد ميلاد النبي باليوم الثاني عشر من ربيع الأول لم يُجْزَم به، وإنما فيه خلاف وحتى ولو ثبت فالاحتفال به بدعة لما تقدم؛ ولقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو**

رد»[1]. وفي رواية لمسلم: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**[2].

٣ ـ إن وظيفة النبي ﷺ هي الدعوة إلى التوحيد وإنقاذ الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات المعاصي والسيئات إلى نور الطاعات والأعمال الصالحات، ومن الجهل إلى المعرفة والعلم، فلا خير إلا دلَّ أمته عليه، ولا شر إلا حذَّرها منه ﷺ.

(١) البخاري برقم ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٢) انظر: رسالة التحذير من البدع لسماحة شيخنا العلامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز.

المبحث الثاني: جهاده واجتهاده وأخلاقه

كان ﷺ أسوة وقدوة وإماماً يُقتدى به؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]؛ ولهذا كان ﷺ يصلي حتى تفطَّرت قدماه وانتفخت وورمت فقيل له: أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[2]. وكان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، وربما صلى ثلاث عشرة ركعة[3]، وكان يصلي الرواتب اثنتي عشرة ركعة[4] وربما صلاها عشر

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٢) البخاري برقم ١١٣٠، ومسلم برقم ٢٨١٩.
(٣) البخاري برقم ١١٤٧، ومسلم برقم ٧٣٧.
(٤) مسلم برقم ٧٢٨.

ركعات[1]، وكان يصلي الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاءالله[2]، وكان يطيل صلاة الليل فربما صلى بما يقرب من خمسة أجزاء في الركعة الواحدة[3]، فكان ورده من الصلاة كل يوم وليلة أكثر من أربعين ركعة منها الفرائض سبع عشر ركعة[4].

وكان يصوم غير رمضان ثلاثة أيام من كل شهر[5] ويتحرَّى صيام الإثنين والخميس[6]، وكان يصوم شعبان إلا قليلاً، بل كان يصومه كلــه»[7]، ورغَّــب فــي صيــام ســت مــن

---

(١) مسلم برقم ٧٢٩، والبخاري برقم ١١٧٢.
(٢) مسلم برقم ٧١٩.
(٣) مسلم برقم ٧٧٢.
(٤) كتاب الصلاة لابن القيم ص ١٤٠.
(٥) مسلم برقم ١١٦٠.
(٦) الترمذي برقم ٧٤٥، والنسائي ٤/ ٢٠٢ وغيرهما.
(٧) البخاري رقم ١٩٦٩ و١٩٧٠، ومسلم برقم ١١٥٦ و١١٥٧.

شوال[1]، وكان ﷺ يصوم حتى يقال: لا يفطر، ويفطر حتى يقال: لا يصوم[2]، وما استكمل شهر غير رمضان إلا ما كان منه في شعبان، وكان يصوم يوم عاشوراء[3]، وروي عنه صوم تسع ذي الحجة[4]، وكان يواصل الصيام اليومين والثلاثة وينهى عن الوصال، وبيَّن أنه ﷺ ليس كأمته؛ فإنه يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه[5]، وهذا على الصحيح: ما يجد من لذة العبادة والأنس والراحة وقرة العين بمناجاة الله تعالى؛ ولهذا قال: **«يا بلال أرحنا بالصلاة»**[6]، وقال:

---

(١) مسلم برقم ١١٦٤.

(٢) البخاري برقم ١٩٧١، ومسلم ١١٥٦.

(٣) البخاري برقم ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٧، ومسلم برقم ١١٢٥.

(٤) النسائي ٤/ ٢٠٥، وأبو داود برقم ٢٤٣٧، وأحمد ٦/ ٢٨٨، وانظر: صحيح النسائي رقم ٢٢٣٦.

(٥) البخاري برقم ١٩٦١ ـ ١٩٦٤، ومسلم ١١٠٢ ـ ١١٠٣.

(٦) أبو داود برقم ٨٥٤٩، وأحمد ٥/ ٣٩٣.

«وجُعِلَتْ قرة عيني في الصلاة»[١].

٤ ـ وكان يكثر الصدقة، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة حينما يلقاه جبريل عليه الصلاة والسلام[٢]؛ فكان يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة؛ ولهذا أعطى رجلاً غنماً بين جبلين فرجع الرجل إلى قومه وقال: يا قومي أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة[٣]، فكان ﷺ أكرم الناس، وأشجع الناس[٤]، وأرحم الناس وأعظمهم تواضعاً، وعدلاً، وصبراً، ورفقاً، وأناة، وعفواً، وحلماً، وحياءً، وثباتاً على الحق.

---

(١) النسائي ٧/ ٦١، وأحمد ٣/ ١٢٨، وانظر: صحيح النسائي ٣/ ٨٢٧.

(٢) البخاري برقم ٦، ومسلم رقم ٢٣٠٨.

(٣) مسلم ٤/ ١٨٠٦.

(٤) البخاري مع الفتح ١٠/ ٤٥٥، ومسلم ٤/ ١٨٠٤.

٥ ـ وجاهد ﷺ في جميع ميادين الجهاد:
جهاد النفس وله أربع مراتب: جهادها على تعلم أمور الدين، والعمل به، والدعوة إليه على بصيرة، والصبر على مشاق الدعوة، وجهاد الشيطان وله مرتبتان: جهاده على دفع ما يلقي من الشبهات، ودفع ما يلقي من الشهوات، وجهاد الكفار وله أربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، واليد. وجهاد أصحاب الظلم وله ثلاث مراتب: باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب. فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد، وأكمل الناس فيها محمد ﷺ؛ لأنه كمل مراتب الجهاد كلها، فكانت ساعاته موقوفة على الجهاد: بقلبه، ولسانه، ويده، وماله؛ ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً وأعظمهم عند الله قدراً[١]. وقد دارت المعارك

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٥، ١٠، ١٢.

الحربية بينه وبين أعداء التوحيد، فكان عدد غزواته التي قادها بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، وقاتل في تسع منها، أما المعارك التي أرسل جيشها ولم يقدها فيقال لها سرايا فقد بلغت ستًّا وخمسين سرية[1].

٦ ـ **وكان ﷺ أحسن الناس معاملة**، فإذا استسلف سلفاً قضى خيراً منه؛ ولهذا جاء رجل إلى النبي ﷺ يتقاضاه بعيراً فأغلظ له في القول، فهم به أصحابه فقال النبي ﷺ: **«دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً»** فقالوا: يا رسول الله: لا نجد إلا سنًّا هو خير من سنّه فقال: **«أعطوه»** فقال الرجل: أوفيتني أوفاك الله، فقال ﷺ: **«إن خير عباد الله أحسنهم قضاءً»**[2]. واشترى من

---

(١) انظر: شرح النووي ١٢/ ٩٥، وفتح الباري ٧/ ٢٧٩ ـ ٢٨١، و٨/ ١٥٣.

(٢) البخاري رقم ٢٣٠٥، ومسلم ١٦٠٠.

جابر بن عبدالله رضي الله عنه بعيراً، فلما جاء جابر بالبعير قال له ﷺ: «**أتراني ماكستك**»؟ قال: لا يا رسول الله، فقال: «**خذ الجمل والثمن**»[1].

٧ ـ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً؛ لأن خلقه القرآن، لقول عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»[2]؛ ولهذا قال ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[3].

٨ ـ وكان ﷺ أزهد الناس في الدنيا، فقد ثبت عنه ﷺ أنه اضطجع على حصير فأثَّر في جنبه، فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولما استيقظ جعل يمسح جنبه فقال: يا

---

(١) البخاري مع الفتح ٣/ ٦٧، ومسلم ٣/ ١٢٢١.

(٢) مسلم ١/ ٥١٣.

(٣) البيهقي بلفظه ١٠/ ١٩٢، وأحمد ٢/ ٣٨١، وانظر: الصحيحة للألباني رقم ٤٥.

رسول الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا؟ فقال ﷺ: «**مالي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها**»[1]. وقال: «**لو كان لي مثلُ أُحُدٍ ذهباً ما يَسُرُّني أن لا يمر عليَّ ثلاثٌ وعندي منه شيء، إلا شيءٌ أرصُدُهُ لدين**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض»[3]. والمقصود أنهم لم يشبعوا ثلاثة أيام بلياليها متوالية، والظاهر أن سبب عدم شبعهم غالباً كان بسبب قلة الشيء عندهم على أنهم قد

---

(١) الترمذي وغيره، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ٤٣٩، وصحيح الترمذي ٢/ ٢٨٠.

(٢) البخاري برقم ٢٣٨٩، ومسلم برقم ٩٩١.

(٣) البخاري مع الفتح ٩/ ٥١٧ و٥٤٩.

يجدون ولكن يؤثرون على أنفسهم[1]؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: «خرج النبي ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير»[2]. وقالت: «ما أكل آل محمد ﷺ أُكلتين في يوم إلا إحداهما تمر»[3]. وقالت: «إنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أُوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار. فقال عروة: ما كان يقيتكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء»[4]. والمقصود بالهلال الثالث: وهو يُرى عند انقضاء الشهرين. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **«كان فِراشُ رسول الله ﷺ من أدَم وحشوُهُ**

---

(١) انظر: فتح الباري ٩/ ٥١٧ و٥٤٩ برقم ٥٣٧٤، ومن حديث عائشة رضي الله عنها برقم ٥٤١٦.

(٢) البخاري مع الفتح ٩/ ٥٤٩.

(٣) البخاري مع الفتح ١١/ ٢٨٣.

(٤) البخاري مع الفتح ١١/ ٢٨٣.

ليفٌ»[1]. ومع هذا كان يقول ﷺ: «**اللهم اجعل رِزْقَ آل محمدٍ قوتاً**»[2].

٩ ـ وكان ﷺ من أورع الناس؛ ولهذا قال: «**إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي أو في بيتي فأرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون من الصدقة فألقيها**»[3]. وأخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ: «**كَخْ كَخْ ارمِ بها أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة؟**»[4].

---

(١) البخاري برقم ٦٤٥٦.

(٢) البخاري برقم ٦٤٦٠، ومسلم برقم ١٠٥٥ والقوت: هو ما يقوت البدن من غير إسراف وهو معنى الرواية الأخرى عند مسلم «كفافاً» ويكف عن الحاجة، وقال أهل اللغة: القوت: هو ما يسد الرمق، وفي الكفاف سلامة من آفات الغنى والفقر جميعاً والله أعلم. الفتح ١١/ ٢٩٣، وشرح النووي ٧/ ١٥٢، والأبي ٣/ ٥٣٧.

(٣) مسلم ٢/ ٧٥١.

(٤) مسلم ٢/ ٧٥١.

١٠ ـ ومع هذه الأعمال المباركة العظيمة فقد كان ﷺ يقول: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يملُّ حتى تملُّوا، وأحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل» وكان آلُ محمدٍ ﷺ إذا عَمِلُوا عملاً أثبتوه**[١]. «**وكان ﷺ إذا صلى صلاة داوم عليها**»[٢]. وقد تقالَّ عبادة النبي ﷺ نفر من أصحابه ﷺ وقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال بعضهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً، وقال بعضهم: أنا أصوم ولا أفطر، وقال بعضهم: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً [وقال بعضهم: لا آكل اللحم] فبلغ ذلك النبي ﷺ

---

(١) البخاري مع الفتح ٤/٢١٣، ١١/٢٩٤، ومسلم ١/٥٤١ برقم ٧٨٢، و٢/٨١١.

(٢) البخاري مع الفتح ٤/٢١٣، وانظر: صحيح البخاري حديث رقم ٦٤٦١ ـ ٦٤٦٧.

فجاء إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1]. والمراد بالسنة الهدي والطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره. ومع هذه الأعمال الجليلة فقد كان يقول عليه الصلاة والسلام: «سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل». وفي رواية: «سدِّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيءٌ من الدُّلجة، والقَصْدَ القَصْدَ تبلغوا»[2]. وكان يقول: «يا مقلب القلوب ثبِّت

---

(١) البخاري مع الفتح ٩/ ١٠٤، ومسلم ٢/ ١٠٢٠ وما بين المعكوفين من رواية مسلم.

(٢) البخاري برقم ٦٤٦٣، ٦٤٦٤، ومسلم ٤/ ٢١٧٠.

قلبي على دينك»[1]. ويقول: «**اللهم مصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك**»[2].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر والعظات في هذا المبحث كثيرة منها:

١ ـ إن النبي ﷺ قدوة كل مسلم صادق مع الله تعالى في كل أموره؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3].

٢ ـ إن النبي ﷺ أحسن الناس خَلْقاً، وخُلُقاً، وألينهم كفًّا، وأطيبهم ريحاً، وأكملهم عقلاً، وأحسنهم عشرة، وأعلمهم بالله وأشدهم له خشية[4]، وأشجع الناس، وأكرم الناس،

---

(١) الترمذي ٥/ ٢٣٨ وغيره، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ١٧١.

(٢) مسلم ٤/ ٢٠٤٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٤) ولهذا قال عبدالله بن الشِّخِّير: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ =

وأحسنهم قضاء، وأسمحهم معاملة، وأكثرهم اجتهاداً في طاعة ربه، وأصبرهم وأقواهم تحملاً، وأخشعهم لله قلباً، وأرحمهم بعباد الله تعالى، وأشدهم حياء، ولا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها، ولكنه إذا انتُهِكت حرمات الله، فإنه ينتقم لله تعالى، وإذا غضب لله لم يقم لغضبه أحد، والقوي والضعيف، والقريب والبعيد، والشريف وغيره عنده في الحق سواء، وما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله، وإن لم يشتهه تركه، ويأكل من الطعام المباح ما تيسر ولا يتكلف في ذلك، ويقبل الهدية ويكافئ عليها، ويخصف نعليه ويرقع ثوبه، ويخدم في مهنة أهله، ويحلِبُ شاته، ويخدِمُ

= كأزيز المِرجل من البكاء» أبو داود برقم ٩٠٤، وصححه الألباني في مختصر الشمائل برقم ٢٧٦، ومعنى: أزيز المرجل: أي غليان القدر.

نفسه، وكان أشد الناس تواضعاً، ويجيب الداعي: من غني أو فقير، أو دنيء أو شريف، وكان يحب المساكين ويشهد جنائزهم ويعود مرضاهم، ولا يحقر فقيراً لفقره، ولا يهاب مَلِكاً لملكه، وكان يركب الفرس، والبعير، والحمار، والبغلة، ويردف خلفه، ولا يدع أحداً يمشي خلفه(١). وخاتمه فضة وفصه منه، يلبسه في خنصره الأيمن وربما لبسه في الأيسر، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع، وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض، ولكنه اختار الآخرة، وكان يكثر الذكر، دائم الفكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ويحب الطيب ولا يرده، ويكره الروائح

---

(١) أحمد ٣/٣٩٨، وابن ماجه برقم ٢٤٦، والحاكم ٤/ ٤٨١، وابن حبان موارد ٢٠٩٩، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ١٥٥٧.

الكريهة، وكان أكثر الناس تبسماً، وضحك في أوقات حتى بدت نواجذه[1] ويمزح ولا يقول إلا حقًّا، ولا يجفو أحداً، ويقبل عذر المعتذر إليه، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، ويتنفس في الشرب ثلاثاً خارج الإناء، ويتكلم بجوامع الكلم، وإذا تكلم تكلَّم بكلام بيِّنٍ فَصْلٍ، يحفظه من جلس إليه، ويعيد الكلمة ثلاثاً إذا لم تفهم حتى تُفهم عنه، ولا يتكلم من غير حاجة، وقد جمع الله له مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، فكانت معاتبته تعريضاً، وكان يأمر بالرفق ويحث عليه، وينهى عن العنف، ويحث على العفو والصفح، والحلم، والأناة، وحسن الخلق ومكارم الأخلاق، وكان يحب التيمن في طهوره وتنعُّله، وترجُّله، وفي شأنه كله، وكانت يده

(١) النواجذ: الأنياب.

اليسرى لخلائه وما كان من أذى، وإذا اضطجع اضطجع على جنبه الأيمن، ووضع كفه اليمنى تحت خده الأيمن، وإذا عرَّس[1] قُبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه، وكان مجلسه: مجلس علم، وحلم، وحياء، وأمانة، وصيانة، وصبر، وسكينة، ولا ترفع فيه الأصوات، ولا تنتهك فيه الحرمات، يتفاضلون في مجلسه بالتقوى، ويتواضعون، ويُوقِّرون الكبار، ويرحَمُون الصغار، ويؤثرون المحتاج، ويخرجون دعاة إلى الخير، وكان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، وكان يمشي مع الأرملة والمسكين، والعبد، حتى يقضي له حاجته. ومر على الصبيان يلعبون فسلَّم عليهم،

---

(١) التعريس: نزول المسافر آخر الليل نزلةً للنوم والاستراحة. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣ / ٢٠٦.

وكان لا يصافح النساء غير المحارم. وكان يتألف أصحابه ويتفقدهم، ويكرم كريم كل قوم، ويقبل بوجهه وحديثه على من يحدثه، حتى على أشرِّ القوم يتألفهم بذلك، ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخَّاباً[١]، ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ويحلم، ولم يضرب خادماً ولا امرأة ولا شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى، وما خُيِّر بين شيئين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه. وقد جمع الله له كمال الأخلاق ومحاسن الشيم وآتاه من العلم والفضل وما فيه النجاة والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة ما لم يؤت أحداً من العالمين، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا معلم

(١) الصخَّاب: الصخب والسخب: الضجة واضطراب الأصوات للخصام، فهو ﷺ لم يكن صخَّاباً في الأسواق ولا في غيرها. النهاية ٣/ ١٤.

له من البشر، واختاره الله على جميع الأولين والآخرين، وجعل دينه للجن والناس أجمعين إلى يوم الدين، فصلوات الله وسلامه عليه صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين؛ فإن خلقه كان القرآن.

فينبغي الاقتداء به ﷺ والتأسي في جميع أعماله، وأقواله، وجده واجتهاده، وجهاده، وزهده، وورعه، وصدقه وإخلاصه، إلا في ما كان خاصًّا به، أو ما لا يُقدر على فعله؛ لقوله ﷺ: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا**[1]»[2]؛ ولقوله: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم**»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: تهذيب السيرة النبوية للإمام النووي ص ٥٦، ومختصر السيرة النبوية للحافظ عبدالغني المقدسي ص ٧٧، وحقوق المصطفى للقاضي عياض ١/ ٧٧ ـ ٢١٥، ومختصر الشمائل المحمدية للترمذي ص ١١٢ ـ ١٨٨.

(٣) البخاري برقم ٧٢٨٨، ومسلم برقم ٢٦١٩.

المبحث الثالث: خير أعماله خواتمها

كان ﷺ إذا عمل عملاً أثبته وداوم عليه؛ ولهذا قال: «**إن أحب الأعمال إلى الله تعالى ما داوم عليه صاحبه وإن قل**»[1]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً، وكان يعرض عليه القرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قُبض فيه عرض القرآن مرتين»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب**

---

(١) البخاري مع الفتح ٩/ ٤٣، برقم ٤٩٩٨، و٤/ ٢١٣، ومسلم ٢/ ٨١١ وتقدم تخريجه.

(٢) البخاري برقم ٤٤٣٣، ومسلم ٢٤٥٠.

إليك». قالت: قلت: يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: «جُعِلت لي علامةٌ في أمتي إذا رأيتها قلتها ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾»[1]. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما لعمر عن هذه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إنها: أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه، فقال: ما أعلم منها إلا ما تعلم»[2]. وقيل: نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ يوم النحر والنبي ﷺ في منى بحجة الوداع[3]، وقيل: نزلت أيام التشريق[4]، وعند الطبراني أنها لما نزلت هذه السورة أخذ

---

(١) مسلم ١/ ٣٥١.

(٢) البخاري مع الفتح ٨/ ١٣٠.

(٣) انظر: الفتح ٨/ ٧٣٤، وقيل: عاش بعدها إحدى وثمانين يوماً. فتح ٨/ ٧٣٤.

(٤) انظر: المرجع السابق ٨/ ١٣٠.

رسـول الله ﷺ أشـدَّ مـا كـان اجتهـاداً فـي أمـر الآخرة[1]؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن[2]. ومعنى ذلك أنه يفعل ما أمر به فيه وهو قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[3].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـ الحث على المداومة على العمل الصالح، وأن قليلاً دائماً خير من كثير منقطع؛ لأن بدوام العمل الصالح القليل تدوم الطاعة والـذكـر، والمـراقبـة، والنيـة، والإخـلاص،

---

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٠.

(٢) البخاري برقم ٧٩٤، ومسلم برقم ٤٨٤.

(٣) انظر: شرح النووي ٤/ ٤٤٧.

والإقبال على الخالق، والقليل الدائم يثمر؛ لأنه يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة[1].

٢ ـ من أجهد نفسه في شيء من العبادات لا يطيق العمل به خُشِيَ عليه أن يمل فيفضي به ذلك إلى تركه[2].

٣ ـ الإنسان المسلم كلما تقدم في العمر اجتهد في العمل على حسب القدرة والطاقة، ليلقى الله على خير أحواله؛ ولأن الأعمال بالخواتيم، وخير الأعمال الصالحة خواتيمها[3].

---

(١) انظر: فتح الباري ١/ ١٠٣، وشرح النووي ٦/ ٣١٨.
(٢) انظر: فتح الباري ٤/ ٢١٥.
(٣) انظر: فتح الباري ٤/ ٢٨٥، و٩/ ٤٦.

المبحث الرابع: وداعه لأمته ووصاياه في حجة الوداع

١ ـ أذانه في الناس بالحج:

١ ـ بعد أن بلَّغ ﷺ البلاغ المبين وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، أعلن في الناس وأذَّن فيهم وأعلمهم أنه حاج في السنة العاشرة ـ بعد أن مكث في المدينة تسع سنين كلها معمورة بالجهاد والدعوة والتعليم ـ وبعد هذا النداء العظيم الذي قصد به ﷺ إبلاغ الناس فريضة الحج، ليتعلموا المناسك منه ﷺ؛ وليشهدوا أقواله، وأفعاله، ويوصيهم ليبلغ الشاهد الغائب، وتشيع دعوة الإسلام، وتبلغ الرسالة القريب والبعيد[١]. قال جابر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ مكث تسع

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٨/ ٤٢٢، وشرح الأبي ٤/ ٢٤٤.

سنين لم يحج ثم أذَّن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاجٌّ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله. . . وساق الحديث وفيه: حتى إذا استوت به ناقته على البيداء[1] نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك[2]، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعلم تأويله وما عمل به من شيء عملنا به. . . وساق الحديث وقال: حتى إذا أتى عرفة فوجد القبة قد ضُرِبت له بنمرة فنزل بها.

---

(١) البيداء: اسم للمفازة والصحراء التي لا شيء فيها، وهي هنا موضع بذي الحليفة. فتح الملك المعبود ٢/ ٩.

(٢) قيل كان عددهم تسعين ألفاً، وقيل مائة وثلاثين ألفاً. انظر: المرجع السابق ٢/ ٩، و١٠٥.

٢ ـ وداعه ووصيته لأمته في عرفات:

قال جابر رضي الله عنه: حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع[١] ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دمٍ أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب فإنه

---

(١) والمعنى أنه أبطل كل شيء من أمور الجاهلية وصار كالشيء الموضوع تحت القدمين فلا يعمل به في الإسلام، فجلعه كالشيء الموضوع تحت القدم من حيث إهماله وعدم المبالاة به. انظر: شرح النووي ٨/ ٤٣٢، وشرح الأبي ٤/ ٢٥٥، وفتح الملك المعبود ٢/ ١٨.

موضوع كله[1] فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله[2] ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم[3] أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرِّح[4] ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن

---

(١) والمعنى الزائد على رأس المال باطل أما رأس المال فلصاحبه بنص القرآن، انظر: شرح النووي ٨/ ٤٣٣.

(٢) قيل: الكلمة هي: الأمر بالتسريح بالمعروف أو الإمساك بالإحسان، وقيل: هي لا إلـه إلا الله، وقيل: الإيجاب والقبول، وقيل: هي قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، سورة النساء، الآية: ٣. قال النووي: وهذا هو الصحيح ويدخل فيه القبول والإيجاب، شرح النووي ٨/ ٤٣٣، وشرح الأبي ٤/ ٢٥٦، وفتح الملك المعبود ٢/ ١٩.

(٣) والمعنى لا يأذن لأحد من الرجال أو النساء تكرهون أن يدخل منازلكم، وليس المراد من ذلك الزنا؛ لأنه حرام سواء كرهه الزوج أو لم يكرهه؛ ولأن فيه الحد. شرح النووي ٨/ ٤٣٣، والأبي ٤/ ٢٥٧، وفتح الملك المعبود ٢/ ٢٠.

(٤) غير المبرِّح: لا شديد ولا شاق، انظر: فتح الملك المعبود ٢/ ١٩، وشرح النووي ٨/ ٤٣٤.

بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله[1]، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت. فقال بإصبعه السبَّابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات[2]. وقد كان في الموقف جمٌّ غفير لا

---

(١) والمعنى قد تركت فيكم أمراً لن تخطئوا إن تمسكتم به في الاعتقاد والعمل وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسكت عن السنة؛ لأن القرآن هو الأصل في الدين، أو لأن القرآن أمر باتباع السنة كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾. سورة النساء، الآية: ٥٩. وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾. سورة الحشر، الآية: ٧. انظر: فتح الملك المعبود ٢/ ٢٠، وقد جاء عند الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما الوصية ب «... كتاب الله وسنة نبيه..» وصححه الألباني في صحيحه الترغيب برقم ٣٦.

(٢) أخرجه مسلم برقم ١٢١٨.

يُحصي عددهم إلا الله تعالى[1].

وأُنزل على النبي ﷺ في يوم عرفة يوم الجمعة قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2] وهذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم ﷺ؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الجن والإنس فلا حلال إلا ما أحلَّه، ولا حرام إلا ما حرَّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خلف، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[3] أي صدقاً في الأخبار وعدلاً

---

(١) قيل: مائة وثلاثون ألفاً. انظر: فتح الملك المعبود ٢/ ١٠٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣، والحديث أخرجه البخاري برقم ٤٥، ومسلم برقم ٣٠١٦، ٣٠١٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الله لهم الدين تمت عليهم النعمة[1].

وقد ذُكر أن عمر بكى عندما نزلت هذه الآية في يوم عرفة، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أُكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص[2]، وكأنه رضي الله عنه توقع موت النبي ﷺ قريباً.

٣ ـ وداعه ووصيته لأمته عند الجمرات:

قال جابر رضي الله عنه: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: «**لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلِّي لا أحُجُّ**

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٢.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٢ وعزاه بإسناده إلى تفسير الطبري. وهذا يشهد له قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ. . .».

بعد حجتي هذه»[1].

وعن أم الحصين رضي الله عنها قالت: حججت مع رسول الله ﷺ فرأيته حين رمى جمرة العقبة وانصرف وهو على راحلته ومعه بلال وأسامة. . . فقال رسول الله ﷺ قولاً كثيراً ثم سمعته يقول: «**إن أُمِّر عليكم عبد مجدَّع أسود يقودكم بكتاب الله تعالى فاسمعوا له وأطيعوا**»[2].

٤ ـ وصيته ووداعه لأمته يوم النحر:

عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه ـ أو بزمامه ـ وخطب الناس فقال: «**أتدرون أيُّ يوم هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «**أليس بيوم**

---

(١) مسلم برقم ١٢٩٧.

(٢) مسلم برقم ١٢٩٨.

النحر؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «**فأي شهر هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «**أليس بذي الحجة؟**» قلنا بلى يا رسول الله. قال: «**فأي بلد هذا؟**» قلنا الله ورسوله أعلم [فسكت] حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «**أليست البلدة الحرام؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا [وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعوا بعدي كفاراً [أو ضُلاَّلاً] يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد [منكم] الغائب [فَرُبَّ مُبلَّغ أوعى من سامع] ألا هل بلَّغت** [ثم انكفأ[1] إلى كبشين

(١) انكفأ: أي انقلب. انظر: شرح النووي ١١/ ١٨٣.

أملحين فذبحهما. .»[1] قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب[2].

وسكوته ﷺ بعد كل سؤال من هذه الأسئلة الثلاثة كان لاستحضار فهومهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات. . . وقال: «**هذا يوم الحج الأكبر**» وطَفِق[4] النبي

---

(١) البخاري ٣/ ٢٦ برقم ٦٧، ١٠٥، ١٧٤١، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧، ومسلم برقم ١٦٧٩ والألفاظ من هذه المواضع.

(٢) البخاري برقم ١٧٣٩.

(٣) انظر: فتح الباري ١/ ١٥٩.

(٤) طفق: جعل وشرع يقول.

يقول: «**اللهم اشهد**» وودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع[1].

وقد فتح الله أسماع جميع الحجاج بمنى حتى سمعوا خطبة النبي ﷺ يوم النحر، وهذا من معجزاته أن بارك في أسماعهم وقوَّاها حتى سمعها القاصي والداني حتى كانوا يسمعون وهم في منازلهم[2]. فعن عبدالرحمن بن معاذ التيمي رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى فَفُتِحتْ أسماعُنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا..»[3].

---

(١) البخاري برقم ١٧٤٢.

(٢) انظر: عون المعبود ٥/ ٤٣٦، وفتح الملك المعبود ٢/ ١٠٦.

(٣) أبو داود برقم ١٩٥٧ وفي آخره قصة تدل على أنه يوم النحر، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم ١٧٢٤، ١/ ٣٦٩.

٥ ـ وصيته ﷺ لأمته في أوسط أيام التشريق:

وخطب ﷺ الناس في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة وهو ثاني أيام التشريق ويقال له: يوم الرؤوس؛ لأن أهل مكة يسمونه بذلك؛ لأكلهم رؤوس الأضاحي فيه، وهو أوسط أيام التشريق[(١)]، فعن أبي نجيح عن رجلين من أصحاب النبي ﷺ، وهما من بني بكر، قالا: رأينا رسول الله ﷺ يخطب بين أوسط أيام التشريق، ونحن عند راحلته، وهي خطبة رسول الله ﷺ التي خطب[(٢)] بمنى[(٣)]، وعن أبي نضرة

---

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ٥/ ٤٣٢، وفتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود ٢/ ١٠٠، وفتح الباري ٣/ ٥٧٤.

(٢) ومعنى قوله: «وهي خطبته التي خطب بمنى» أي مثل الخطبة التي خطبها يوم النحر بمنى، فالخطبتان: في يوم النحر، وفي ثاني أيام التشريق اليوم الثاني عشر متحدتان في المعنى. انظر: عون المعبود ٥/ ٤٣١، وفتح الملك المعبود ٢/ ١٠٠.

(٣) أبو داود برقم ١٩٥٢ ويشهد له حديث سرَّاء بنت نبهان برقم =

قال: حدثني من سمع خطبة النبي ﷺ وسْطَ أيام التشريق فقال: «**يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟**» قالوا: بلَّغ رسول الله ﷺ. ثم قال: «**أي يوم هذا؟**» قالوا: يوم حرام. ثم قال: «**أيُّ شهر هذا؟**» قالوا: شهر حرام. ثم قال: «**أي بلد هذا؟**» قالوا: بلد حرام. قال: «**فإن الله قد حرَّم بينكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، أبلغت؟**» قالوا: بلَّغ رسول الله ﷺ. قال: «**ليبلغ الشاهد الغائب**»[1].

= ١٩٥٣ وصحح حديث أبي نجيح الألباني في صحيح سنن أبي داود ١/ ٣٦٨ برقم ١٧٢٠.

(١) أحمد بترتيب عبدالرحمن البناء ١٢/ ٢٢٦ وذكره الهيثمي في =

وهناك جمل من خطبه ﷺ في حجة الوداع في الأماكن المقدسة منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: «**إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم ولكن رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنة نبيه...**» الحديث[1]. وحديث

= مجمع الزوائد وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ٣/ ٢٦٦. وانظر: حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه قال: كنت آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس... وذكر فيه جملاً تراجع ويراجع سند الحديث في مسند أحمد ٥/ ٧٢.

(١) ذكره المنذري في الترغيب وعزاه إلى الحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ١/ ٢١ برقم ٣٦ وله أصل في صحيح مسلم. انظر: حديث رقم ٢٨١٢، وانظر: مسند أحمد ٢/ ٣٦٨ والأحاديث الصحيحة برقم ٤٧٢.

أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو يخطب الناس على ناقته الجدعاء في حجة الوداع يقول: «**يا أيها الناس أطيعوا ربكم، وصلوا خمسكم، وأدوا زكاة أموالكم، وصوموا شهركم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم**»[1].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـ إن كل من قدم المدينة إجابة لأذان النبي ﷺ بالحج فقد حج مع النبي ﷺ؛ لقول جابر رضي الله عنه: «فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله»[2].

---

(١) الحاكم ١/ ٤٧٣ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) تقدم تخريجه من حديث جابر رضي الله عنه.

٢ ـ استحباب نزول الحاج إلى عرفات بعد زوال الشمس إن تيسر ذلك.

٣ ـ استحباب خطبة الإمام بالحجاج بعرفات، يبين فيها للناس ما يحتاجون إليه، ويعتني ببيان التوحيد، وأصول الدين، ويحذر فيها من الشرك والبدع والمعاصي، ويوصي الناس بالعمل بالكتاب والسنة.

وقد ثبت أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع ثلاث خطب: خطبة يوم عرفة، والخطبة الثانية يوم النحر في منى، والخطبة الثالثة في منى يوم الثاني عشر من ذي الحجة. ومذهب الشافعي أن الإمام يخطب يوم السابع من ذي الحجة كذلك[1]، ويعلم الإمام الناس في كل خطبة ما يحتاجون إليه إلى الخطبة الأخرى.

---

(١) انظر: فتح الملك المعبود في تكملة المنهل المورود ٢/ ٢٠.

٤ ـ تأكيد غلظ تحريم الدماء، والأعراض، والأموال، والأبشار الجلدية.

٥ ـ استخدام ضرب الأمثال وإلحاق النظير بالنظير؛ لقوله ﷺ: «**كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**».

٦ ـ إبطال أفعال الجاهلية، وربا الجاهلية، وأنه لا قصاص في قتلى الجاهلية.

٧ ـ إن الإمام ومن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يجب أن يبدأ بنفسه وأهله؛ لأنه أقرب لقبول قوله، وطيب نفس من قرب عهده بالإسلام.

٨ ـ الموضوع من الربا هو الزائد على رأس المال، أما رأس المال فلصاحبه.

٩ ـ مراعاة حق النساء، ومعاشرتهن بالمعروف، وقد جاءت أحاديث كثيرة بذلك جمعها النووي أو معظمها في رياض الصالحين.

١٠ ـ وجوب نفقة الزوجة وكسوتها،

وجواز تأديبها إذا أتت بما يقتضي التأديب لكن بالشروط والضوابط التي جاءت بالكتاب والسنة، وأن لا يحصل منكر من أجل ذلك التأديب.

١١ ـ الوصية بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

١٢ ـ قوله: «**لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**» ففي ذلك لام الأمر، والمعنى خذوا مناسككم، وهكذا وقع في رواية غير مسلم، وتقديره: هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال، والأفعال، والهيئات هي أمور الحج وصفته وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها، واحفظوها واعملوا بها، وعلموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج، فهو كقوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[1].

---

(١) البخاري برقم ٧٢٤٦.

١٣ ـ وفي قوله ﷺ: **«لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»** إشارة إلى توديعهم، وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ، وحثهم على الأخذ عنه، وانتهاز الفرصة وملازمته، وبهذا سميت حجة الوداع.

١٤ ـ الحث على تبليغ العلم ونشره، وأن الفهم ليس شرطاً في الأداء، وأنه قد يأتي في الآخر من يكون أفهم ممن تقدم ولكن بقلة، وأن الأفضل أن يكون الخطيب على مكان مرتفع؛ ليكون أبلغ في سماع الناس ورؤيتهم له.

١٥ ـ استخدام السؤال ثم السكوت والتفسير يدل على التفخيم، والتقرير والتنبيه.

١٦ ـ الأمر بطاعة ولي الأمر مادام يقود الناس بكتاب الله تعالى، وإذا ظهرت منه بعض المعاصي والمنكرات، وُعِظَ وَذُكِّر بالله وخُوِّف به لكن بالحكمة والأسلوب الحسن.

١٧ ـ الوصية بطاعة الله، والصلاة، والزكاة،

والصيام، وأنه لا فرق بين أصناف الناس إلا بالتقوى.

١٨ ـ معجزة النبي ﷺ الظاهرة الدالة على صدقه، وذلك بسماع الناس لخطبته يوم النحر وهم في منازلهم[١] فقد فتح الله أسماعهم كلهم لها.

١٩ ـ الضحية سنة مؤكدة على الصحيح من أقوال أهل العلم، وهي في حق الحاج وغير الحاج فلا يجزئ عنها الهدي، وإنما هي سنة مستقلة؛ لأنه ﷺ بعد أن خطب الناس بمنى انقلب فذبح كبشين أملحين[٢] وهذا غير الهدايا التي نحرها بيده وأشرك عليًّا في الهدي وأمره بنحر الباقي من البدن.

---

(١) البخاري، ومسلم برقم ١٦٧٩ وتقدم تخريجه.

(٢) انظر: فتح الباري ٣/ ٥٧٤، ٥٧٧، وشرح النووي ٨/ ٤٢٢ ـ ٤٣٤ و٩/ ٥١ ـ ٥٢ و١١/ ١٨٢، وفتح الملك المعبود في تكملة المنهل المورود شرح سنن أبي داود ٢/ ٢٠ و٢/ ٥٤، ٢/ ٩٩ ـ ٢٠٦.

المبحث الخامس: توديعه للأحياء والأموات

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون وإنا إن شاءالله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[1]. وفي رواية أنه قال ﷺ: «**فإن جبريل أتاني. . فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم**» قالت عائشة: يا رسول الله، كيف أقول لهم؟ قال: «**قولي: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن**

(١) البقيع هو مدفن أهل المدينة، وسمي بقيع الغرقد، لغرقد كان فيه، وهو ما عظم من العوسج. انظر: شرح النووي ٧/ ٤٦، وشرح الأبي على مسلم ٣/ ٣٩٠.

شاءالله بكم لاحقون»[1].

وقد ذكر الإمام الأبي رحمه الله تعالى أن خروجه هذا كان في آخر عمره ﷺ[2] وهذا والله أعلم يدل على توديعه للأموات كما فعل مع شهداء أحد؛ ولهذا والله أعلم كان يخرج في الليل ويقف في البقيع يدعو لهم كما قالت عائشة رضي الله عنها «ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف...»[3].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على قتلى أُحد صلاة

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٩٧٤.

(٢) انظر: شرح الأبي على صحيح مسلم ٣/ ٣٨٨، وفتح الباري ٧/ ٣٤٩.

(٣) مسلم برقم ٩٧٤.

الميت[1] بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع على المنبر فقال: «إني بين أيديكم فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإن موعدكم الحوض، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن من مقامي هذا، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي[2]، ولكني أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها [وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم] قال عقبة: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ [على

(١) الأحاديث الصحيحة دلت أن شهداء المعركة لا يصلى عليهم، أما هذا الحديث فكأنه ﷺ دعا لهم واستغفر لهم حين علم قرب أجله مودعاً لهم بذلك، كما ودع أهل البقيع بالاستغفار لهم. انظر: فتح الباري ٣/ ٢١٠ و٧/ ٣٤٩ ورجح ذلك العلامة ابن باز في تعليقه على فتح الباري ٦/ ٦١١.

(٢) أي لا أخاف على مجموعكم؛ لأن الشرك قد وقع من بعض أمته بعده ﷺ. فتح الباري ٣/ ٢١١.

المنبر][1].

فتوديعه ﷺ للأحياء ظاهر؛ لأن سياق الأحاديث يشعر أن ذلك كان آخر حياته ﷺ، وأما توديعه للأموات فباستغفاره لأهل البقيع ودعائه لأهل أحد، وانقطاعه بجسده عن زيارتهم[2].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستنبطة من هذا المبحث كثيرة، منها:

١ ـ حرص النبي ﷺ على نفع أمته، والنصح لهم في الحياة، وبعد الممات؛ ولهذا صلى على شهداء أحد بعد ثمان سنوات، وزار أهل البقيع ودعا لهم، وأوصى الأحياء

---

(١) البخاري من الألفاظ في جميع المواضع، برقم ١٣٤٤، ٣٥٩٦، ٤٠٤٢، ٤٠٨٥، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠، ومسلم برقم ٢٢٩٦، وما بين المعكوفين من صحيح مسلم.

(٢) الفتح ٧/ ٣٤٩.

ونصحهم، ووعظهم وأمرهم ونهاهم فما ترك خيراً إلا دلهم عليه، ولا شرًّا إلا حذرهم منه.

٢ ـ التحذير من فتنة زهرة الدنيا لمن فتحت عليه، فينبغي له أن يحذر سوء عاقبتها، ولا يطمئن إلى زخارفها، ولا ينافس غيره فيها، ويستخدم ما عنده منها في طاعة الله تعالى[١].

---

(١) انظر: فتح الباري ١١/ ٢٤٥.

المبحث السادس: بداية مرضه ﷺ وأمره لأبي بكر أن يصلي بالناس

رجع ﷺ من حجة الوداع في ذي الحجة فأقام بالمدينة بقية الشهر، والمحرم، وصفراً، وجهز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه، فبينما الناس على ذلك ابتدىء رسول الله ﷺ بشكواه في ليال بقين من صفر: قيل في الثاني والعشرين منه، وقيل: في التاسع والعشرين، وقيل: بل في أول شهر ربيع الأول، وقد صلى على شهداء أحد فدعا لهم كما تقدم، وذهب إلى أهل البقيع وسلم عليهم ودعا لهم مودعاً لهم، ثم رجع مرة من البقيع فوجد عائشة وهي تشتكي من صداع برأسها وهي تقول: وارأساه. فقال: «**بل أنا والله يا عائشة وارأساه**». قالت عائشة رضي الله عنها: ثم قال: «**وما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك، وصليت عليك، ودفنتك**» قالت: قلت: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد

رجعت إلى بيتي فأعرست ببعض نسائك. قالت: «فتبسم رسول الله ﷺ»[1] وتتام به وجعه حتى استعزبه[2] وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي[3].

وأول ما اشتدَّ برسول الله ﷺ وجعه في بيت ميمونة رضي الله عنها فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها[4]، فعن

---

(١) ابن هشام بسند ابن إسحاق، انظر: سيرة ابن هشام ٤/ ٣٢٠، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢٢٤، وفتح الباري ٨/ ١٢٩ ـ ١٣٠، وأخرجه أحمد ٦/ ١٤٤ و٢٢٨ لابن ماجه، والبيهقي، وقال الألباني: إن ابن إسحاق قد صرح بالتحديث في رواية ابن هشام فثبت الحديث والحمد لله. أحكام الجنائز ص ٥٠.

(٢) استعزبه: اشتد عليه وغلبه على نفسه.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٤/ ٣٢٠ والبداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢٢٣ ـ ٢٣١. وقيل: كان ذلك في التاسع والعشرين من شهر صفر يوم الأربعاء، فبقي في مرضه ثلاثة عشر يوماً وهذا قول الأكثر. انظر: الفتح ٨/ ١٢٩.

(٤) صحيح مسلم برقم ٤١٨، وانظر: فتح الباري ٨/ ١٢٩.

عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذنَّ له فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبدالمطلب وبين رجل آخر[1] وكانت عائشة رضي الله عنها تحدث أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتد به وجعه قال: «**هَرِيقُوا[2] عليَّ من سبع قرب[3] لم تُحْلَلْ أوكيتهن لعلي أعهد[4] إلى الناس، فأجلسناه في مِخضَب[5] لحفصة زوج النبي ﷺ ثم**

---

(١) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما قال ابن عباس في آخر حديث البخاري رقم ٦٨٧ ومسلم ٤١٨.

(٢) وفي رواية: أهريقوا: أي أريقوا وصبوا. الفتح ١/ ٣٠٣.

(٣) هذا من باب التداوي؛ لأن لعدد السبع دخولاً في كثير من أمور الشريعة، وأصل الخلقة، وفي رواية لهذا الحديث عند الطبراني: «... من آبار شتى». فتح ١/ ٣٠٣ و٨/ ١٤١.

(٤) أعهد: أي أوصي. الفتح ١/ ٣٠٣.

(٥) المِخضب: هو إناء نحو المركن الذي يغسل فيه وتغسل فيه =

طفقنا[1] نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم[2].

وعنها رضي الله عنها قالت: «ثقل رسول الله ﷺ فقال: «أصلى الناس؟» قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله! قال: «ضعوا لي ماء في المخضب» قالت: ففعلنا. فاغتسل فذهب لينوءَ[3] فأُغمي عليه، ثم أفاق فقال ﷺ: «أصلى الناس؟» قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله!

= الثياب من أي جنس كان. النووي ٤/ ٣٧٩ والفتح ١/ ٣٠١ و٣٠٣.

(١) طفقنا: أي شرعنا: يقال: طفق يفعل كذا إذا شرع في فعل واستمر فيه. الفتح ٣/ ٣٠٣.

(٢) البخاري برقم ١٩٨ وذكر هنا له ستة عشر موضعاً، وقد جمع بين هذه المواضع الألباني في مختصر البخاري ١/ ١٧٠، ومسلم برقم ٤١٨.

(٣) لينوء: أي لينهض بجهد. الفتح ٢/ ١٧٤.

فقال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**» قالت: ففعلنا [فقعد] فاغتسل. ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه. ثم أفاق فقال: «**أصلى الناس؟**» فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله! فقال: «**ضعوا لي ماء في المخضب**» ففعلنا [فقعد] فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «**أصلى الناس؟**» فقلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله! قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر؛ ليصلي بالناس، فأتاه الرسول(١) فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس. فقال أبو بكر ـ وكان رجلاً رقيقاً ـ يا عمر! صلِّ بالناس. فقال له عمر: أنت أحقُّ بذلك. قالت: فصلَّى بهم أبو بكر تلك

---

(١) أي الذي أرسله إليه النبي ﷺ ليصلي بالناس.

الأيام. ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خِفَّة فخرج بين رجلين ـ أحدهما العباس ـ[1] لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ بأن لا يتأخر، وقال لهما: «**أجلساني إلى جنبه**» فأجلساه إلى جنب أبي بكر، فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم يأتم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي ﷺ قاعد»[2]. وهذا صريح في أن هذه الصلاة هي صلاة الظهر[3]. وقد كان ﷺ

---

(١) والآخر علي رضي الله عنه كما تقدم.

(٢) البخاري برقم ٦٨٧ ومسلم برقم ٤١٨ وقد اخترت بعض الألفاظ من البخاري وبعضها من مسلم.

(٣) وزعم بعضهم أنها الصبح، واستدل برواية أرقم بن شرحبيل عن ابن عباس: «وأخذ رسول الله ﷺ القراءة من حيث بلغ أبو بكر، وهذا لفظ ابن ماجه وإسناده حسن؛ لكن في الاستدلال به نظر؛ لاحتمال أن يكون ﷺ سمع لما قرب من أبي بكر الآية التي انتهى إليها أبو بكر خاصة، وقد كان هو يسمع الآية أحياناً في الصلاة =

حريصاً على أن يكون أبو بكر هو الإمام وردد الأمر بذلك مراراً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثَقُل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: «**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**» فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف[1] وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت

= السرية كما في حديث أبي قتادة، ثم لو سلم لم يكن فيه دليل على أنها الصبح بل يحتمل أن تكون المغرب فقد ثبت في الصحيحين من حديث أم الفضل قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً، ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله» البخاري برقم ٧٦٣ و٤٤٢٩، ومسلم برقم ٤٦٢ قال ابن حجر: لكن وجدت في النسائي أن هذه الصلاة التي ذكرتها أم الفضل كانت في بيته وقد صرح الشافعي أنه ﷺ لم يصلِّ بالناس في مرض موته في المسجد إلا مرة واحدة وهي هذه التي صلى فيها قاعداً وكان أبو بكر فيها أولاً إماماً ثم صار مأموماً يسمع الناس التكبير. انظر: الفتح ٢/ ١٧٥.

(١) أسيف: شديد الحزن: والمراد أنه رقيق القلب إذا قرأ غلبه البكاء فلا يقدر على القراءة. فتح ٢/ ١٥٢، ١٦٥، ٢٠٣.

عمر؟ فقال: «**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**» قالت: فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر، فقالت له فقال رسول الله ﷺ: «**إنكنَّ لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**» فقالت حفصة لعائشة: [ما كنت لأصيب منك خيراً]. قالت عائشة: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة، فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض، حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ: «**قم مكانك**» فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ ويقتدي الناس

بصلاة أبي بكر»[1].

والسبب الذي جعل عائشة رضي الله عنها تراجع النبي ﷺ في إمامة أبي بكر بالصلاة هو ما بيَّنَتْه في رواية أخرى قالت رضي الله عنها: «لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر»[2]؛ ولهذا قال ﷺ لها ولحفصة: «**إنكن لأنتن صواحب يوسف**»[3].

---

(١) البخاري برقم ٧١٣، ٢/٢٠٤ ومسلم برقم ٤١٨، قول حفصة رضي الله عنها: ما كنت لأصيب منك خيراً. البخاري برقم ٦٧٩.

(٢) البخاري رقم ١٩٨، و٤٤٤٥، ومسلم برقم ٤١٨ رواية ٩٣.

(٣) البخاري برقم ٧١٣، ومسلم برقم ٤١٨ وتقدم تخريجه.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «وتقديمه ﷺ لأبي بكر معلوم بالضرورة من دين الإسلام وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة، وأقرؤهم لما ثبت في الصحيح: «**يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله**..»[1] الحديث. نعم قد اجتمعت في أبي بكر هذه الصفات رضي الله عنه...»[2].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

---

(١) مسلم برقم ٦٧٣.

(٢) البداية والنهاية ٥/ ٢٣٤ وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أنه كان يقول: «آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ مع القوم في ثوب واحد ملتحفاً به خلف أبي بكر» قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية ٥/ ٢٣٤: «وهذا إسناد جيد على شرط الصحيح» ورجح العلامة ابن باز حفظه الله أن النبي ﷺ لم يصلِّ خلف أحد من أمته إلا عبدالرحمن بن عوف. قلت: أما الصلاة التي صلاها مع أبي بكر فإنه هو الإمام كما تقدم والله أعلم.

١ ـ استحباب زيارة قبور الشهداء بأحد وقبور أهل البقيع والدعاء لهم بشرط عدم شد الرحال، وعدم إحداث البدع.

٢ ـ جواز تغسيل الرجل زوجته وتجهيزها والزوجة كذلك.

٣ ـ جواز استئذان الرجل زوجاته أن يُمرَّض في بيت إحداهن إذا كان الانتقال يشق عليه، وإذا لم يأذنَّ فحينئذ يقرع بينهن.

٤ ـ جواز المرض والإغماء على الأنبياء بخلاف الجنون فإنه لا يجوز عليهم؛ لأنه نقص، والحكمة من مرض الأنبياء؛ لتكثير أجرهم، ورفع درجاتهم، وتسلية الناس بهم؛ ولئلا يفتتن الناس بهم فيعبدونهم؛ لما يظهر على أيديهم من المعجزات والآيات البينات، وهم مع ذلك لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعاً إلا ما شاء الله.

٥ ـ استحباب الغسل من الإغماء؛ لأنه

ينشط ويزيل أو يخفف الحرارة.

٦ ـ إذا تأخر الإمام تأخراً يسيراً ينتظر، فإذا شق الانتظار صلى أعلم الحاضرين.

٧ ـ فضل أبي بكر وترجيحه على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وتنبيهه وتنبيه الناس أنه أحق بالخلافة من غيره؛ لأن الصلاة بالناس للخليفة؛ ولأن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: «رضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا».

٨ ـ إذا عرض للإمام عارض أو شغل بأمر لابد منه منعه من حضور الجماعة فإنه يستخلف من يصلي بهم ويكون أفضلهم.

٩ ـ فضل عمر رضي الله عنه؛ لأن أبا بكر وثق به، ولهذا أمره أن يصلي ولم يعدل إلى غيره.

١٠ ـ جواز الثناء والمدح في الوجه لمن أُمِن عليه الإعجاب والفتنة؛ لقول عمر رضي الله

عنه: «أنت أحق بذلك».

١١ ـ دفع الفضلاء الأمور العظيمة عن أنفسهم إذا كان هناك من يقوم بها على وجه مقبول.

١٢ ـ يجوز للمستخلف في الصلاة ونحوها أن يستخلف غيره من الثقات لقول أبي بكر: «صلِّ يا عمر».

١٣ ـ الصلاة من أهم ما يسأل عنه.

١٤ ـ فضل عائشة رضي الله عنها على جميع أزواج النبي ﷺ الموجودات ذلك الوقت وهن تسع إحداهن عائشة رضي الله عنهن.

١٥ ـ جواز مراجعة ولي الأمر على سبيل العرض والمشاورة والاستشارة بما يظهر أنه مصلحة، لكن بعبارة لطيفة تحمل الحكمة وحسن الأسلوب.

١٦ ـ جواز وقوف المأموم بجنب الإمام

لحاجة أو مصلحة: كإسماع المأمومين التكبير في الجم الغفير الذين لا يسمعون الصوت، أو ضيق المكان، أو علة أخرى كصلاة المرأة بالنساء، أو المنفرد مع الإمام، أو إمام العراة.

١٧ ـ جواز رفع الصوت بالتكبير فينقل المبلغ للناس صوت الإمام إذا لم يسمع الناس تكبير الإمام.

١٨ ـ التنبيه على الحرص على حضور الصلاة مع الجماعة إلا عند العجز التام عن ذلك.

١٩ ـ الأعلم والأفضل أحق بالإمامة من العالم والفاضل.

٢٠ ـ إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا صلى جالساً صلى الناس جلوساً، وإذا صلى قائماً صلوا قياماً.

٢١ ـ البكاء في الصلاة من خشية الله

لا حـرج فيه لكن لا يتكلف ذلك ولا يطلبـه، فإذا غلبه البكـاء في الصلاة بدون اختيـاره فلا حـــرج[1].

---

(١) انظر: شرح النووي ٤/ ٣٧٩ ـ ٣٨٦، وشرح الأبي ٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢، وفتـح البـاري ٢/ ١٥١، ١٥٢، ١٦٤، و١٦٦، ١٧٣، ٢٠٣، ٢٠٦.

المبحث السابع: خطبته العظيمة ووصيته للناس

خطب عليه الصلاة والسلام أصحابه في يوم الخميس قبل أن يموت بخمسة أيام خطبة عظيمة بيَّن فيها فضل الصدِّيق من سائر الصحابة، مع ما قد كان نص عليه أن يؤم الصحابة أجمعين، ولعل خطبته هذه كانت عوضاً عما أراد أن يكتبه في الكتاب، وقد اغتسل عليه الصلاة والسلام بين يدي هذه الخطبة العظيمة، فصبوا عليه من سبع قرب لم تُحلل أوكيتهن، وهذا من باب الاستشفاء بعدد السبع كما وردت به الأحاديث[1] والمقصود أنه ﷺ اغتسل ثم خرج وصلى بالناس ثم خطبهم. قال جندب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن**

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥/٢٢٨.

يكون لي منكم خليل[1]؛ فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك»[2]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إن الله خيَّر عبداً بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عند الله»، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: فديناك

---

(١) الخُلَّة: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خِلاله؛ أي في باطنه، وهي أعلى المحبة الخالصة، والخليل: الصديق الخالص؛ وإنما قال ذلك ﷺ؛ لأن خلته كانت مقصوره على حب الله تعالى فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٧٢، والمصباح المنير ١/ ١٨٠، وشرح النووي ٥/ ١٦، وشرح الأبي ٢/ ٤٢٦.

(٢) مسلم برقم ٥٣٢.

بآبائنا وأُمهاتنا، فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خيَّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عند الله، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله ﷺ هو [العبد] المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: **[يا أبا بكر لا تبكي] إن من أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله**[1] **أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أُخوَّةُ الإسلام، ومودته، لا يَبْقَينَّ في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر»**[2].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـ أمر النبي ﷺ بسد الأبواب إلا باب أبي

---

(١) معناه: أكثرهم جوداً لنا بنفسه وماله، انظر: فتح الباري ١/ ٥٥٩، وشرح النووي ١٥/ ١٦٠.

(٢) البخاري برقم ٤٦٦، ٣٦٥٤، ٣٩٠٤، ومسلم برقم ٢٣٨٢.

بكر من جملة الإشارات التي تدل على أنه هو الخليفة.

٢ ـ فضل أبي بكر رضي الله عنه وأنه أعلم الصحابة رضي الله عنهم، ومن كان أرفع في الفهم استحق أن يطلق عليه أعلم، وأنه أحب الصحابة إلى رسول الله ﷺ.

٣ ـ الترغيب في اختيار ما في الآخرة على ما في الدنيا، وأن الرغبة في البقاء في الدنيا وقتاً من الزمن إنما هي للرغبة في رفع الدرجات في الآخرة وذلك بالازدياد من الحسنات لرفع الدرجات.

٤ ـ شكر المحسن والتنويه بفضله وإحسانه والثناء عليه؛ لأن من لم يشكر الناس لا يشكر الله تعالى.

٥ ـ التحذير من اتخاذ المساجد على القبور وإدخال القبور في المساجد أو وضع

الصور فيها، ولعن من فعل ذلك، وأنه من شرار الخلق عند الله كائناً من كان[1].

٦ ـ حب الصحابة لرسول الله ﷺ أكثر من النفس والولد والوالد والناس أجمعين ولهذا يفدونه بآبائهم وأمهاتهم.

---

(١) انظر: فتح الباري ١/ ٥٥٩، ٧/ ١٤، ١٦، والنووي ١٥/ ١٦.

المبحث الثامن: اشتداد مرضه ﷺ ووصيته في تلك الشدة

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات[1] وينفث فلما اشتد وجعه [الذي توفي فيه] كنت أقرأ [وفي رواية أنفث] عليه بهن وأمسح بيده نفسه رجاء بركتها» قال ابن شهاب: «ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه»[2]. وفي صحيح مسلم قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد

---

(١) المراد بالمعوذات: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. انظر: الفتح ٨/ ١٣١ و٩/ ٦٢.

(٢) البخاري برقم ٤٤٣٩، ٥٠١٦، ٥٧٣٥، ٥٧٥١، ومسلم برقم ٢١٩٢ وكان يفعل ذلك ﷺ أيضاً إذا أوى إلى فراشه «فيقرأ بقل هو الله أحد، وبالمعوذتين جميعاً ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» البخاري برقم ٥٧٤٨.

نفسه؛ لأنها كانت أعظم بركة من يدي»[1]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ. فقال: «مرحباً بابنتي» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة. ثم إنه سارها فضحكت أيضاً، فقلتُ لها ما يبكيك؟ فقالت: ما كنتُ لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حُزْنٍ، فقلت حين بكت أخصَّك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ، فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمتُ عليك بمالي عليك من الحق لما حدثتيني ما قال لك رسول الله ﷺ؟ فقالت:

---

(١) مسلم برقم ٢١٩٢.

أما الآن فنعم: أما حين سارَّني في المرة الأولى **فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن كل عام مرة وإنه عارضه به في العام مرتين ولا أُراني**[1] **إلا قد حضر أجلي فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك**، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: «**يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟**» قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت»[2]. وفي رواية: «**فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله فضحكت**»[3].

وسبب ضحكها رضي الله عنها أنها سيدة نساء المؤمنين، وأول من يلحق به من أهله، وسبب البكاء أنه أخبرها بموته ﷺ، قال ابن

---

(١) أي لا أظن.

(٢) البخاري برقم ٤٤٣٣، ٤٤٣٤، ومسلم برقم ٢٤٥٠، واللفظ لمسلم.

(٣) البخاري برقم ٤٤٣٣، ٤٤٣٤، ومسلم ٢٤٥٠.

حجر رحمه الله تعالى: «وروى النسائي في سبب الضحك الأمرين»[1] أي بشارتها بأنها سيدة نساء هذه الأمة، وكونها أول من يلحق به من أهله. وقد اتفقوا على أن فاطمة رضي الله عنها أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده حتى من أزواجه[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيتُ أحداً اشدَّ عليه الوجع[3] من رسول الله ﷺ»[4].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك[5] فمسسته بيدي فقلت: يا رسول الله إنك توعك

---

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٨.
(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٦.
(٣) المراد بالوجع: المرض، والعرب تسمي كل مرض وجعاً. انظر: الفتح ١٠/ ١١١، وشرح النووي ١٦/ ٣٦٣.
(٤) البخاري برقم ٥٦٤٦، ومسلم ٢٥٧٠.
(٥) يوعك: قيل الحمى، وقيل ألمها، وقيل إرعادها الموعوك وتحريكها إياه. الفتح ١٠/ ١١١.

وعكاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: **«أجلْ إني أُوعك كما يوعك رَجُلان منكم»** قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين. فقال رسول الله ﷺ: **«أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه [شوكة فما فوقها] إلا حط الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»**[1].

وعن عائشة وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم قالا: لما نُزِلَ[2] برسول الله ﷺ طفق[3] يطرح خميصة[4] له على وجهه فإذا اغتم[5]

---

(١) البخاري مع الفتح ١٠/١١١ برقم ٥٦٤٧، ٥٦٤٨، ٥٦٦٠، ٥٦٦١، ٥٦٦٧، ومسلم ٤/ ١٩٩١ برقم ٢٥٧١ واللفظ له إلا ما بين المعكوفين.

(٢) نُزِل: أي لما حضرت المنية والوفاة. انظر: شرح السنوسي على صحيح مسلم بهامش الأبي ٢/ ٤٢٥، وفتح الباري ١/ ٥٣٢.

(٣) طفق: أي شرع وجعل، انظر: شرح النووي ٥/ ١٦، وشرح الأبي ٢/ ٤٢٥، حاشية السنوسي، وفتح الباري ١/ ٥٣٢.

(٤) خميصة: كساء له أعلام.

(٥) اغتم: تسخن بالخميصة وأخذ بنفسه من شدة الحرارة.

كشفها عن وجهه وهو كذلك يقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يُحذرُ ما صنعوا»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أنهم تذاكروا عند رسول الله ﷺ في مرضه فذكرت أمُّ سلمة وأمُّ حبيبة كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فقال رسول الله ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: «قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» قالت: فلولا ذلك لأبرزوا قبره، غير

---

(١) البخاري مع الفتح ٨/ ١٤٠ برقم ٤٤٤٣، ٤٤٤٤، ومسلم برقم ٥٣١.
(٢) البخاري برقم ٤٢٧ و٤٣٤، ١٣٤١، ٣٨٧٨، ومسلم برقم ٥٢٨.

أني أخشى أن يُتخذ مسجداً»[1].

وعن أبي هريرة رضي اللهّ عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[2]

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه[3]، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أباه[4] فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**» فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه،

---

(١) البخاري برقم ٤٣٥، ١٣٣٠، ١٣٩٠، ٣٤٥٣، ٤٤٤١، ٤٤٤٣، ٥٨١٥، ومسلم برقم ٥٢٩ ولفظ مسلم «غير أنه خُشِيَ، وعند البخاري برقم ١٣٩٠ «غير أنه خَشِيَ أو خُشِيَ».

(٢) أبو داود ٢/ ٢١٨، وأحمد ٢/ ٣٦٧، وانظر صحيح أبي داود ١/ ٣٨٣.

(٣) يتغشاه: يغطيه ما اشتدّ به من مرض فيأخذ بنفسه ويغمه.

(٤) لم ترفع صوتها رضي الله عنها بذلك، وإلا لنهاها ﷺ. انظر: الفتح ٨/ ١٤٩.

يا أبتاه إلى جبريل ننعاه[1]. فلما دُفن قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس! أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟»[2].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة ومنها:

١ ـ استحباب الرقية بالقرآن، وبالأذكار، وإنما جاءت الرقية بالمعوذات؛ لأنها جامعة للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق الله عز وجل، فيدخل في ذلك كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس[3].

---

(١) ننعاه: نَعَى الميت إذا أذاع موته وأخبر به.
(٢) البخاري برقم ٤٤٦٢.
(٣) انظر: شرح النووي ١٤/ ٤٣٣، والأبي ٧/ ٣٧٥.

٢ ـ عناية النبي ﷺ ببنته فاطمة ومحبته لها؛ ولهذا قال: «**مرحباً بابنتي**» وقد جاءت الأخبار أنها كانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبَّلها، وأجلسها في مجلسه، وإذا دخل عليها فعلت ذلك رضي الله عنها، فلما مرض دخلت عليه وأكبت عليه تقبله[١].

٣ ـ يؤخذ من قصة فاطمة رضي الله عنها أنه ينبغي العناية بالبنات، والعطف عليهن، والإحسان إليهن، ورحمتهن، وتربيتهن التربية الإسلامية، اقتداء بالنبي ﷺ، وأن يختار لها الزوج الصالح المناسب.

٤ ـ عناية الولد بالوالد كما فعلت فاطمة رضي الله عنها، فيجب على الولد أن يحسن إلى والديه، ويعتني ببرهما، ولا يعقهما، فيتعرض

---

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٥، ١٣٦.

لعقوبة الله تعالى.

٥ ـ معجزة النبي ﷺ التي تدل على صدقه وأنه رسول الله ﷺ، ومن ذلك أنه أخبر أن فاطمة أول من يلحقه من أهله، فكانت أول من مات من أهله بالاتفاق.

٦ ـ سرور أهل الإيمان بالانتقال إلى الآخرة، وإيثارهم حب الآخرة على الدنيا لحبهم للقاء الله تعالى، ولكنهم لا يتمنون الموت لضر نزل بهم؛ لرغبتهم في الإكثار من الأعمال الصالحة؛ لأن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث كما بين النبي عليه الصلاة والسلام.

٧ ـ المريض إذا قرب أجله ينبغي له أن يوصي أهله بالصبر؛ لقوله ﷺ لفاطمة: «**فاتقي الله واصبري**».

٨ ـ فضل فاطمة رضي الله عنها وأنها سيدة نساء المؤمنين.

٩ ـ المرض إذا احتسب المسلم ثوابه، فإنه يكفر الخطايا، ويرفع الدرجات، وتزاد به الحسنات، وذلك عام في الأسقام، والأمراض ومصائب الدنيا، وهمومها وإن قلت مشقتها، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثل؛ لأنهم مخصوصون بكمال الصبر والاحتساب، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله تعالى ليتم لهم الخير ويضاعف لهم الأجر، ويظهر صبرهم ورضاهم، ويُلحق بالأنبياء الأمثل فالأمثل من أتباعهم؛ لقربهم منهم وإن كانت درجتهم أقل، والسر في ذلك والله أعلم أن البلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشد؛ ولهذا ضوعف حد الحر على حد العبد، وقال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ

﴿ضِعۡفَيۡنِۚ﴾[1]. والقوي يُحمَّل ما حمل، والضعيف يرفق به، إلا أنه كلما قويت المعرفة هان البلاء، ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهون عليه البلاء، وأعلى من ذلك من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه فيسلم ويرضى ولا يعترض[2].

١٠ ـ التحذير من بناء المساجد على القبور ومن إدخال القبور والصور في المساجد، ولعن من فعل ذلك، وأنه من شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة، وهذا من أعظم الوصايا التي أوصى بها رسول الله ﷺ قبل موته بخمسة أيام[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٠، وانظر: شرح النووي ١٦/ ٢٣٨، ٣٦٥، ٣٦٦، ٥/ ١٤، والأبي ٨/ ٣٢٦.

(٢) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٦، و١٠/ ١١٢، و٣/ ٢٠٨.

(٣) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٦، و١٠/ ١١٢، و٣/ ٢٠٨.

المبحث التاسع: وصايا النبي ﷺ عند موته

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس[1] اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «**ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً**» فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التنازع [فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله،] [فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قرِّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: «قوموا] وفي

---

(١) يوم الخميس وما يوم الخمس؛ معناه: تفخيم أمره في الشدة والمكروه، والتعجب منه، وفي رواية في أواخر كتاب الجهاد عند البخاري: «ثم بكى حتى خضب دمعه الحصى». وفي رواية لمسلم: «ثم جعلت تسيل دموعه حتى رأيتها على خديه...» انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٢، وشرح النووي على صحيح مسلم.

رواية: «دعوني فالذي أنا فيه خير[1] مما تدعونني إليه] أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم به»[2] وسكت عن الثالثة أو قال فأنسيتها»[3] قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «وأوصاهم بثلاث» أي في تلك الحالة، وهذا يدل على أن الذي أراد أن يكتبه ﷺ لم يكن أمراً متحتماً؛ لأنه لو كان مما أُمر بتبليغه لم يتركه

---

(١) المعنى: دعوني من النزاع والاختلاف الذي شرعتم فيه فالذي أنا فيه من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه، والفكر في ذلك خير مما أنتم فيه، أو فالذي أعانيه من كرامة الله تعالى الذي أعدها لي بعد فراق الدنيا خير مما أنا فيه من الحياة.. وقيل غير ذلك. انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٤، وشرح النووي.

(٢) وأجيزوا الوفد: أي أعطوهم، والجائزة العطية، وهذا أمر منه ﷺ بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم تطييباً لنفوسهم وترغيباً لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم، وإعانة لهم على سفرهم. انظر: فتح الباري ٧/ ١٣٥ وشرح النووي.

(٣) البخاري برقم ٤٤٣١، ٤٤٣٢، ومسلم برقم ١٦٣٧.

لوقوع اختلافهم ولعاقب الله من حال بينه وبين تبليغه، ولبلَّغه لهم لفظاً كما أوصاهم بإخراج المشركين وغير ذلك، وقد عاش بعد هذه المقالة أياماً وحفظوا عنه أشياء لفظاً فيحتمل أن يكون مجموعها ما أراد أن يكتبه والله أعلم(١). والوصية الثالثة في هذا الحديث يحتمل أن تكون الوصية بالقرآن، أو الوصية بتنفيذ جيش أسامة رضي الله عنه، أو الوصية بالصلاة وما ملكت الأيمان، أو الوصية بأن لا يتخذ قبره ﷺ وثناً يُعبد من دون الله، وقد ثبتت هذه الوصايا عنه ﷺ(٢).

وعن عبدالله بن أبي أوْفَى رضي الله عنه أنه سئل هل أوصى رسول الله ﷺ؟... قال: «**أوصى بكتاب الله عز وجل**»(٣). والمراد

---

(١) فتح الباري ٨/ ١٣٤.
(٢) المرجع السابق ٨/ ١٣٥.
(٣) مسلم برقم ١٦٣٤، والبخاري برقم ٢٧٤٠، ٤٤٦٠، ٥٠٢٢.

بالوصية بكتاب الله: حفظه حسًّا ومعنى، فيكرم ويصان، ويتبع ما فيه: فيعمل بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته وتعلمه وتعليمه ونحو ذلك[1].

وأمر عليه الصلاة والسلام وأوصى بإنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه، وقد ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى أنه كان تجهيز جيش أسامة يوم السبت قبل موت النبي ﷺ بيومين، وكان ابتداء ذلك قبل مرض النبي ﷺ، فندب الناس لغزو الروم في آخر صفر، ودعا أسامة وقال: «**سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش. . .**» فبدأ برسول الله ﷺ وجعه في اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامة، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار

---

(١) الفتح ٩/ ٦٧.

المهاجرين والأنصار، ثم اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: «**أنفذوا جيش أسامة**» فجهزه أبو بكر بعد أن استخلف فسار عشرين ليلة إلى الجهة التي أمر بها، وقتل قاتل أبيه ورجع الجيش سالماً وقد غنموا..»[1].

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته فقال النبي ﷺ: «**إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة**[2] **وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ، وإنَّ هذا لمن أحبّ الناس إليَّ بعده**»[3]. وقد كان عُمْرُ أسامة

---

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ١٥٢، وسيرة ابن هشام ٤/ ٣٢٨.

(٢) خليقاً: حقيقاً بها. النووي ١٥/ ٢٠٥.

(٣) البخاري ٧/ ٨٦، برقم ٣٧٣٠، ٤٢٥٠، ٤٤٦٨، ٤٤٦٩، ٦٦٢٧، ٧١٨٧، ومسلم برقم ٢٤٢٦.

رضي الله عنه حين توفي النبي ﷺ ثمان عشر سنة[1].

وأوصى ﷺ بالصلاة وما ملكت الأيمان، فعن أنس رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**» حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره ولا يكاد يفيض بها لسانه»[2].

وعن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام النبي ﷺ: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»[3].

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ٢٠٥.

(٢) أحمد بلفظه ٣/ ١١٧، وإسناده صحيح، ورواه ابن ماجه ٢/ ٩٠٠، وانظر صحيح ابن ماجه ٢/ ١٠٩.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢/ ٩٠١، وأحمد برقم ٥٨٥، وانظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ١٠٩.

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة ومنها:

١ ـ وجوب إخراج المشركين من جزيرة العرب؛ لأن النبي ﷺ أوصى بذلك عند موته، وقد أخرجهم عمر رضي الله عنه في بداية خلافته، أما أبو بكر فقد انشغل بحروب الردة.

٢ ـ إكرام الوفود وإعطاؤهم ضيافتهم كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يفعل؛ لأن النبي ﷺ أوصى بذلك.

٣ ـ وجوب العناية بكتاب الله حسًّا ومعنى: فيكرم، ويصان، ويتبع ما فيه فيعمل بأوامره ويجتنب نواهيه، ويداوم على تلاوته، وتعلمه وتعليمه ونحو ذلك؛ لأن النبي ﷺ أوصى به في عدة مناسبات، فدل ذلك على أهميته أهمية بالغة مع سنة النبي ﷺ.

٤ ـ أهمية الصلاة؛ لأنها أعظم أركان

الإسلام بعد الشهادتين؛ ولهذا أوصى بها النبي ﷺ عند موته أثناء الغرغرة.

٥ ـ القيام بحقوق المماليك والخدم ومن كان تحت الولاية؛ لأن النبي ﷺ أوصى بذلك فقال: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**».

٦ ـ فضل أسامة بن زيد حيث أمَّره النبي ﷺ على جيش عظيم فيه الكثير من المهاجرين والأنصار، وأوصى بإنفاذ جيشه[١].

٧ ـ فضل أبي بكر حيث أنفذ وصية رسول الله ﷺ في جيش أسامة فبعثه؛ لقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

---

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٤ ـ ١٣٥ و٩/ ٦٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

المبحث العاشر: اختياره ﷺ الرفيق الأعلى

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّةٌ[1] [شديدة] يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[2] قالت: فظننته خير حينئذ[3].

وفي رواية عنها رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يُرى مقعده من الجنة ثم يخيَّر**» قالت: فلما نزل برسول الله

---

(١) البُحةُ: غِلظٌ في الصوت. انظر: شرح النووي ١٥/ ٢١٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) البخاري برقم ٤٤٣٦، ٤٤٣٧، ٤٤٦٣، ٤٥٨٦، ٦٣٤٨، ٦٥٠٩، ومسلم برقم ٢٤٤٤.

ﷺ[1] ورأسه على فخذي غُشِيَ عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصرهُ إلى السقف ثم قال: «**اللهم في الرفيق الأعلى**» فقلت: إذاً لا يختارنا، وعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكان آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ: «**اللهم مع الرفيق الأعلى**»[2]. وقالت رضي الله عنها: سمعت النبي ﷺ وهو مسند إليَّ ظهره يقول: «**اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى**»[3]. وكان ﷺ متصل بربه وراغباً فيما عنده، ومحبًّا للقائه، ومحبًّا لما يحبه سبحانه، ومن ذلك السواك؛ لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في

---

(١) وفي البخاري «فلما اشتكى وحضره القبض» رقم ٤٤٣٧.
(٢) البخاري برقم ٤٤٣٧، ٤٤٦٣ ومسلم ٢٤٤٤.
(٣) البخاري برقم ٤٤٤٠، ٥٦٦٤.

بيتي، وفي يومي، وبين سحري[1]، ونحري[2]، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليَّ عبدالرحمن [بن أبي بكر] وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ [إلى صدري][3] فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ «**فأشار برأسه أن نعم**» فتناولته فاشتد عليه، وقلتُ أُليّنه لك؟ «**فأشار برأسه أن نعم**» فلينته [وفي رواية: فقصمته، ثم مضغته[4] [وفي رواية فقضمته ونفضته وطيبته[5] ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستنَّ به[6] فما رأيت رسول الله ﷺ استن استناناً

(١) سحري: هو الصدر، وهو في الأصل: الرئة وما تعلق بها. الفتح ٨/ ١٣٩، والنووي ١٥/ ٢١٨.
(٢) ونحري: النحر هو موضع النحر. الفتح ٨/ ١٣٩.
(٣) في البخاري رقم ٤٤٣٨.
(٤) في البخاري برقم ٩٨٠.
(٥) طيبته: بالماء، ويحتمل أن يكون تطييبه تأكيداً للينه، الفتح ٨/ ١٣٩.
(٦) أي استاك به وأمره على أسنانه.

قَطْ أحسن منه][1] وبين يديه ركوة[2] أو علبة[3] فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إلٰه إلا الله إن للموت سكرات**» ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتى قبض ومالت يده»[4] ﷺ.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقنتي[5] وذاقنتي[6]، فلا أكره

---

(١) في البخاري برقم ٤٤٣٨.

(٢) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٦٠.

(٣) شك بعض الرواة وهو عمر، انظر: الفتح ٨/ ١٤٤.

(٤) البخاري ٢/ ٣٧٧، برقم ٨٩٠، وأخرجه البخاري في تسعة مواضع، انظر: ٢/ ٣٧٧، ومسلم برقم ٢٤٤٤.

(٥) الحاقنة: ما سفل من الذقن وقيل غير ذلك، الفتح ٨/ ١٣٩.

(٦) والذاقنة: ما علا من الذقن وقيل غير ذلك، الفتح ٨/ ١٣٩، والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة: هو ما بين السحر والنحر، والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها. الفتح ٨/ ١٣٩.

شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ»[1].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـ إن الرفيق الأعلى: هم الجماعة المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[2] فالصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم أن المراد بالرفيق الأعلى هم الأنبياء الساكنون أعلى عليين. ولفظة رفيق تطلق على الواحد والجمع؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[3].

٢ ـ إن النبي ﷺ اختار الرفيق الأعلى حين

---

(١) البخاري برقم ٤٤٤٦، ومسلم برقم ٢٤٤٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) انظر: فتح الباري ٨/ ١٣٨، وشرح النووي ١٥/ ٢١٩.

خُيِّر حبًّا للقاء الله تعالى، ثم حبًّا للرفيق الأعلى، وهو الذي يقول ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**»[1].

٣ ـ فضل عائشة رضي الله عنها حيث نقلت العلم الكثير عنه ﷺ، وقامت بخدمته حتى مات بين سحرها ونحرها؛ ولهذا قالت: «إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي، وبين سحري ونحري».

٤ ـ عناية النبي ﷺ بالسواك حتى وهو في أشد سكرات الموت، وهذا يدل على تأكد استحباب السواك؛ لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب.

٥ ـ قول النبي ﷺ في سكرات الموت: «**لا إلـه إلا الله إن للموت سكرات**» وهو الذي قد

---

(١) البخاري برقم ٦٥٠٧، ومسلم برقم ٢٦٨٣.

حقق لا إلـه إلا الله، يدل على تأكُّدِ استحبابها والعناية بها والإكثار من قولها وخاصة في مرض الموت؛ لأن «**من كان آخر كلامه لا إلـه إلا الله دخل الجنة**».

٦ ـ حرص النبي ﷺ على مرافقة الأنبياء ودعاؤه بذلك يدل على أن المسلم ينبغي له أن يسأل الله تعالى أن يجمعه بهؤلاء بعد الموت في جنات النعيم، اللهم اجعلنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

٧ ـ شدة الموت وسكراته العظيمة للنبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما بالنا بغيره.

المبحث الحادي عشر: موت النبي ﷺ شهيداً

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «**يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام[1] الذي أكلت بخيبر[2]، فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهَري[3] من**

---

(١) ما أزال أجد ألم الطعام: أي أحس الألم في جوفي بسبب الطعام. الفتح ٨/ ١٣١.

(٢) وذلك أنه عندما فتح خيبر أهديت له ﷺ شاة مشوية فيها سم، وكانت المرأة اليهودية قد سألت: أي عضو من الشاة أحب إليه؟ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها من السم، فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها، وأكل معه بشر بن البراء فأساغ لقمته، ومات منها، وقال لأصحابه: أمسكوا عنها فإنها مسمومة، وقال لها: ما حملك على ذلك؟ فقالت: أردت إن كنت نبيًّا فيطلعك الله، وإن كنت كاذباً فأريح الناس منك...» انظر: فتح الباري ٧/ ١٩٧، والقصة في البخاري برقم ٣١٦٩، و٤٢٤٩، ٥٧٧٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٢٠٨.

(٣) الأبهر عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه. الفتح ٨/ ١٣١.

ذلك السم»[1].

وقد عاش ﷺ بعد أكله من الشاة المسمومة بخيبر ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي قُبض فيه[2] وقد ذُكِرَ أن المرأة التي أعطته الشاة المسمومة أسلمت حينما قالت: من أخبرك؛ فأخبر ﷺ أن الشاة المسمومة أخبرته، وأسلمت وعفى عنها رسول الله ﷺ أولاً ثم قتلها بعد ذلك قصاصاً ببشر بن البراء بعد أن مات رضي الله عنه[3] وقد ثبت الحديث متصلاً أن سبب موته ﷺ هو السم، فعن أبي سلمة قال:

---

(١) البخاري مع الفتح ٨/ ١٣١ برقم ٤٤٢٨ وقد وصله الحاكم والإسماعيلي. انظر: الفتح ٨/ ١٣١.
(٢) انظر: الفتح ٨/ ١٣١ فقد ساق آثاراً موصولة عند الحاكم وابن سعد. الفتح ٨/ ١٣١.
(٣) انظر: التفصيل في فتح الباري ٧/ ٤٩٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٢٠٨ ـ ٢١٢.

كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة فأهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية سمَّتها، فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم فقال: «**ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة**» فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاري، فأرسل إلى اليهودية: «**ما حملك على الذي صنعت؟**» قالت: إن كنت نبيًا لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك «**فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت**» ثم قال في وجعه الذي مات فيه: «**ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري**»[1]. وقالت أم بشر للنبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه: ما يتهم بك يا رسول الله؟ فإني لا أتهم بابني إلا الشاة المسمومة التي أكل

---

(١) أبو داود برقم ٤٥١٢، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٥٥.

معك بخيبر. وقال النبي ﷺ: **«وأنا لا أتهم بنفسي إلا ذلك فهذا أوان انقطاع أبهري»**[1].

وقد جزم ابن كثير رحمه الله تعالى أن النبي ﷺ مات شهيداً[2]، ونقل: «وإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة»[3]. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لئن أحلف تسعاً أن رسول الله ﷺ قتل قتلاً أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك؛ لأن الله اتخذه نبيًّا واتخذه شهيداً»[4].

وعن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي

---

(١) أبو داود برقم ٤٥١٣ وصحح إسناده الألباني. انظر: صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٥٥.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٤/ ٢١٠ و٢١١ و٤/ ٢١٠ ـ ٢١٢ و٥/ ٢٢٣ ـ ٢٤٤.

(٣) انظر: المرجع السابق ٤/ ٢١١.

(٤) ذكره ابن كثير وعزاه بإسناده إلى البيهقي. انظر: البداية والنهاية ٥/ ٢٢٧.

الله عنه كان يصلي بهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف [في صلاة الفجر] ففجأهم النبي ﷺ وقد كشف سِترَ حجرةِ عائشة رضي الله عنها [وهم في صفوف الصلاة] وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف(١) ثم تبسم رسول الله ﷺ يضحك [وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً] [برؤية رسول الله ﷺ] [فنكص(٢) أبو بكر رضي الله عنه على عقبيه ليصل الصف، وظنَّ أن رسول الله ﷺ خارج إلى الصلاة] [فأشار إليهم رسول الله ﷺ [بيده] أن أتموا صلاتكم [ثم دخل رسول الله

(١) كأن وجهه ورقة مصحف: عبارة وكناية عن الجمال البارع وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته. شرح الأبي على صحيح مسلم ٢/ ٣١٠.

(٢) فنكص على عقبيه: أي رجع القهقرى فتأخر، لظنه أن النبي ﷺ خرج ليصلي بالناس، الفتح ٢/ ١٦٥.

ﷺ] [الحجرة] وأرخى الستر فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك».

وفي رواية: [وتوفي من آخر ذلك اليوم][1]. وفي رواية: [لم يخرج النبي ﷺ ثلاثاً][2]. فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه فلما وضح وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا، فأومأ النبي ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى النبي ﷺ

---

(١) وقد ذكر ابن إسحاق أنه ﷺ مات حين اشتد الضحى، ويجمع بينهما بأن إطلاق الأخير بمعنى: ابتداء الدخول في أول النصف الثاني من النهار وذلك عند الزوال واشتداد الضحى يقع قبل الزوال ويستمر حتى يتحقق زوال الشمس، وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمس. الفتح ٨/ ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) ابتداء من صلاته بهم قاعد يوم الخميس كما تقدم. انظر: فتح الباري ٢/ ١٦٥، والبداية ٥/ ٢٣٥.

الحجاب فلم يُقدر عليه حتى مات»[1].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـ موت النبي ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى شهيداً؛ لأن الله اتخذه نبيًّا واتخذه شهيداً ﷺ.

٢ ـ عداوة اليهود للإسلام وأهله ظاهرة من قديم الزمان فهم أعداء الله ورسله.

٣ ـ عدم انتقام النبي ﷺ لنفسه، بل يعفو ويصفح؛ ولهذا لم يعاقب من سمَّت الشاة المصلية، ولكنها قُتِلتْ بعد ذلك قصاصاً ببشر بن البراء بعد أن مات بِصُنعها.

٤ ـ معجزة من معجزاته ﷺ وهي أن لحم

---

(١) البخاري برقم ٦٨٠، ٦٨١، ٧٥٤، ١٢٠٥، ٤٤٤٨، ومسلم برقم ٤١٩ والألفاظ مقتبسة من جميع المواضع، وانظر: مختصر صحيح الإمام البخاري للألباني ١/ ١٧٤ برقم ٣٧٤.

الشاة المصلية نطق وأخبر النبي ﷺ أنه مسموم.

٥ ـ فضل الله تعالى على عباده أنه لم يقبض نبيهم إلا بعد أن أكمل به الدين وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

٦ ـ محبة الصحابة رضي الله عنهم لنبيهم ﷺ حتى أنهم فرحوا فرحاً عظيماً عندما كشف الستر في صباح يوم الاثنين وهو ينظر إليهم وصلاتهم فأدخل الله بذلك السرور في قلبه ﷺ؛ لأنه ناصح لأمته يحب لهم الخير؛ ولهذا ابتسم وهو في شدة المرض فرحاً وسروراً بعملهم المبارك.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]. ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾[2]. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[3]. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[4].

مات محمد بن عبدالله أفضل الأنبياء والمرسلين ﷺ وكان آخر كلمة تكلم بها عند الغرغرة كما قالت عائشة رضي الله عنها: أنه كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يده

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

ﷺ في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إلـٰه إلا الله إن للموت سكرات**» ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتى قبض ومالت يده[١]. فكان آخر كلمة تكلم بها: «**اللهم في الرفيق الأعلى**»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنح[٣] فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قالت: وقال: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنَّه الله فليقطع أيدي رجال وأرجلهم[٤]،

---

(١) البخاري برقم ٨٩٠ وما بعدها من المواضع، ومسلم ٢٤٤٤.

(٢) البخاري برقم ٤٤٣٧، ٤٦٣، ومسلم ٢٤٤٤.

(٣) السُّنح: العالية وهو مسكن زوجة أبي بكر رضي الله عنه وهو منازل بني الحارث من الخزرج بينه وبين المسجد النبوي ميل. الفتح ٨/ ١٤٥ و٧/ ١٩، ٢٩.

(٤) أي يبعثه في الدنيا ليقطع أيدي القائلين بموته. انظر: الفتح ٧/ ٢٩.

فجاء أبو بكر رضي الله عنه [على فرسه من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فتيمم[1] رسول الله ﷺ وهو مغشَّى بثوب حِبرة[2] فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله[3] [ثم بكى] فقال: بأبي أنت وأمي [يا نبي الله] [طبت حيًّا وميتاً والذي نفسي بيده] [لا يجمع الله عليك موتتين][4] [أبداً] [أما الموتة التي كتبت

---

(١) أي قصد. الفتح ٣/ ١١٥.

(٢) وفي رواية للبخاري: وهو مسجًّى ببرد حبرة. البخاري برقم ١٢٤١، ومعنى مغشى ومسجى أي مغطى، وبرد حبرة: نوع من برود اليمن مخططة غالية الثمن. الفتح ٣/ ١١٥.

(٣) أي قبله بين عينيه كما ترجم له النسائي. انظر: الفتح ٣/ ١١٥، وانظر: ما نقله ابن حجر من الروايات في أنه قبل جبهته. الفتح ٨/ ١٤٧.

(٤) قوله: لا يجمع الله عليك موتتين: فيه أقوال: قيل هو على حقيقته وأشار بذلك إلى الرد على من زعم أنه سيحيا فيقطع أيدي رجال..؛ لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى.. وهذا =

عليك قد مُتَّها] [ثم] [خرج وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فقال: [أيها الحالف على رسلك] [اجلس] [فأبى فقال: اجلس فأبى] [فتشهد أبو بكر] [فلما تكلم أبو بكر جلس عمر] [ومال إليه الناس وتركوا عمر] [فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: [أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(١) وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ

= أوضح الأجوبة وأسلمها، وقيل أراد لا يموت موتة أخرى في القبر كغيره إذ يحيا ليسئل ثم يموت، وهذا أحسن من الذي قبله؛ لأن حياته ﷺ لا يعقبها موت بل يستمر حيًا والأنبياء حياتهم برزخية لا تأكل أجسادهم الأرض، ولعل هذا هو الحكمة في تعريف الموتتين... أي المعروفتين المشهورتين الواقعتين لكل أحد غير الأنبياء. انظر: فتح الباري ٣/ ١١٤ و٧/ ٢٩.

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[1] [فوالله لكأن الناس لم يكونوا يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها [وأخبر سعيد بن المسيب] [أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت[2] حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي ﷺ قد مات] [قال: ونشج الناس[3] يبكون، واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منّا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) عقِرت: دهشت وتحيرت، أما بضم العين فالمعنى هلكت. الفتح ٨/١٤٦.

(٣) نشج الناس: بكوا بغير انتحاب، والنشج ما يحصل للباكي من الغصة. انظر: الفتح ٧/ ٣٠.

أمير ومنكم أمير[1]، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيَّأت كلاماً قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر. ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل منَّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحساباً[2] فبايعوا عمر أو أبا عبيدة فقال عمر: بل نبايعك أنت

---

(١) إنما قالت الأنصار رضي الله عنهم: منا أمير ومنكم أمير على ما عرفوه من عادة العرب أنه لا يتأمر على القبيلة إلا من يكون منها فلما سمعوا حديث الأئمة من قريش رجعوا إلى ذلك وأذعنوا. الفتح ٧/ ٣٢.

(٢) أي قريش. انظر: الفتح ٧/ ٣٠.

فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله[(١)].

قالت عائشة رضي الله عنها: في شأن خطبة أبي بكر وعمر في يوم موت النبي ﷺ: فما كان من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، فلقد خوَّف عمر الناس وإن فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك، ثم لقد بصَّر أبو بكر الناس الهُدى وعرَّفهم الحق الذي عليهم وخرجوا به يتلون ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[(٢)]. وخطب عمر ثم

---

(١) البخاري برقم ١١٤١، ١٤٢، ٣/ ١١٣، و٣٦٦٧، ٣٦٦٨، ٧/ ١٩ و٤٤٥٢، ٤٤٥٣، ٤٤٥٤، ٨/ ١٤٥. وقد جمعت هذه الألفاظ من هذه المواضع لتكتمل القصة وأسأل الله أن يجعل ذلك صواباً.

(٢) البخاري برقم ٣٦٦٩، و٣٦٧١، والآية من سورة آل عمران، ١٤٤.

أبو بكر يوم الثلاثاء خطبة عظيمة مفيدة نفع الله بها والحمد لله.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر، وقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة[1] ما كانت وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهدها إليَّ رسول الله ﷺ، ولكني كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا ـ يقول: يكون آخرنا ـ وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا

(١) هي خطبته التي خطب يوم الاثنين حينما قال: إن النبي ﷺ لم يمت.

فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر رضي الله عنه البيعة العامة بعد بيعة السقيفة. ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أما بعد، أيها الناس فإني وليت عليكم ولست بخيركم[1] فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته[2] إن شاءالله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاءالله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم

---

(١) وهذا من باب التواضع منه رضي الله عنه وإلا فهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنه. البداية والنهاية ٥/ ٢٤٨.

(٢) والمعنى: الضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له وأنصره وأعينه.

الله»[1]. ثم استمر الأمر لأبي بكر والحمد لله.

وقد بُعِثَ ﷺ فبقي بمكة يدعو إلى التوحيد ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه، ثم هاجر إلى المدينة وبقي بها عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وعلى آله وسلم[2].

ورجح الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى أن آخر صلاة صلاها ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم هي صلاة الظهر يوم الخميس، وقد انقطع عنهم عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة، والسبت، والأحد، وهذه ثلاثة أيام كوامل[3].

---

(١) البداية والنهاية ٥/ ٢٤٨ وساق سند محمد بن إسحاق قال: حدثني الزهري، حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر... الحديث. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح ٥/ ٢٤٨.

(٢) انظر: البخاري مع الفتح ٨/ ١٥ برقم ٤٤٦٦، وفتح الباري ٨/ ١٥١ مختصر الشمائل للترمذي للألباني ص ١٩٢.

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٥/ ٢٣٥.

وبعد موته ﷺ وخطبة أبي بكر رضي الله عنه دارت مشاورات - كما تقدم - وبايع الصحابة رضي الله عنهم أبا بكر في سقيفة بني ساعدة، وانشغل الصحابة ببيعة الصديق بقية يوم الاثنين، ويوم الثلاثاء، ثم شرعوا في تجهيز رسول الله ﷺ[1] وغُسل من أعلى ثيابه، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، ثم صلى عليه الناس فرادى لم يؤمهم أحد، وهذا أمر مجمع عليه: صلى عليه الرجال، ثم الصبيان، ثم النساء، والعبيد والإماء، وتوفي يوم الاثنين على المشهور[2]،

---

(١) انظر: المرجع السابق ٥/ ٢٤٥.

(٢) توفي ﷺ سنة إحدى عشرة للهجرة في ربيع الأول يوم الاثنين، أما تاريخ اليوم فقد اختلف فيه: فقيل لليلتين خلتا من ربيع الأول، وقيل لليلة خلت منه، وقيل غير ذلك، وقيل مرض في التاسع والعشرين من شهر صفر، وتوفي يوم الاثنين في الثاني =

ودفن ليلة الأربعاء، أُلحد لحداً ﷺ ونصب عليه اللبن نصباً[1]، ورُفع قبره من الأرض نحواً من شبر[2]، وكان قبره ﷺ مسنماً[3]، وقد تواترت الأخبار أنه دفن في حجرة عائشة رضي الله عنها شرقي مسجده ﷺ في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة، ووسع المسجد النبوي الوليد بن عبدالملك عام ٨٦هـ وقد كان نائبه بالمدينة عمر بن عبدالعزيز فأمره بالتوسعة فوسعه حتى من ناحية الشرق فدخلت الحجرة النبوية فيه[4].

= عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، فكان مرضه ثلاثة عشر يوماً، وهذا قول الأكثر. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦، وتهذيب السيرة للنووي ص ٢٥، وفتح الباري ٨/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

(١) مسلم برقم ٩٦٦.

(٢) ابن حبان في صحيحه ١٤/ ٦٠٢، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) كما قال سفيان التمار في البخاري مع الفتح ٣٠/ ٢٥٥.

(٤) انظر: البداية والنهاية ٥/ ٢٧١ ـ ٢٧٣، وفتح الباري ٨/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـ إن الأنبياء والرسل أحب الخلق إلى الله تعالى وقد ماتوا؛ لأنه لا يبقى على وجه الكون أحد من المخلوقات، وهذا يدل على أن الدنيا متاع زائل، ومتاع الغرور الذي لا يدوم، لا يبقى للإنسان من تعبه وماله إلا ما كان يبتغي به وجه الله تعالى، وما عدا ذلك يكون هباءً منثوراً.

٢ ـ حرص النبي ﷺ أن يكون مع الرفيق الأعلى؛ ولهذا سأل الله تعالى ذلك مرات متعددة، وهذا يدل على عظم هذه المنازل لأنبيائه وأهل طاعته.

٣ ـ استحباب تغطية الميت بعد تغميض عينيه، وشد لحييه؛ ولهذا سجِّي وغطي النبي ﷺ بثوب حبرة.

٤ ـ الدعاء للميت بعد موته؛ لأن الملائكة

يؤمنون على ذلك؛ ولهذا قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ: «طبت حيًّا وميتاً».

٥ ـ إذا أصيب المسلم بمصيبة فليقل: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها».

٦ ـ جواز البكاء بالدمع والحزن بالقلب.

٧ ـ النهي عن النياحة وشق الجيوب وحلق الشعر ونتفه والدعاء بدعوى الجاهلية وكل ذلك معلوم تحريمه بالأدلة الصحيحة.

٨ ـ إن الرجل وإن كان عظيماً قد يفوته بعض الشيء ويكون الصواب مع غيره، وقد يخطئ سهواً ونسياناً.

٩ ـ فضل أبي بكر وعلمه وفقهه؛ ولهذا قال: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت».

١٠ ـ أدب عمر رضي الله عنه وأرضاه

وحسن خلقه؛ ولهذا سكت عندما قام أبو بكر يخطب ولم يعارضه بل جلس يستمع مع الصحابة رضي الله عن الجميع.

١١ ـ حكمة عمر العظيمة في فض النزاع في سقيفة بني ساعدة، وذلك أنه بادر فأخذ بيد أبي بكر فبايعه فانصب الناس وتتابعوا في مبايعة أبي بكر، وانفض النزاع والحمد لله تعالى.

١٢ ـ بلاغة أبي بكر فقد تكلم في السقيفة فأجاد وأفاد حتى قال عمر عنه: «فتكلم أبلغ الناس».

١٣ ـ قد نفع الله بخطبة عمر يوم موت النبي ﷺ قبل دخول أبي بكر فخاف المنافقون، ثم نفع الله بخطبة أبي بكر فعرف الناس الحق.

١٤ ـ ظهرت حكمة أبي بكر وحسن سياسته في خطبته يوم الثلاثاء بعد الوفاة النبوية، وبين أن الصدق أمانة والكذب خيانة، وأن

الضعيف قوي عنده حتى يأخذ له الحق، والقوي ضعيف عنده حتى يأخذ منه الحق، وطالب الناس بالطاعة له إذا أطاع الله ورسوله، فإذا عصى الله ورسوله فلا طاعة لهم عليه.

١٥ ـ حكمة عمر رضي الله عنه وشجاعته العقلية والقلبية حيث خطب الناس قبل أبي بكر ورجع عن قوله بالأمس واعتذر، وشد من أزر أبي بكر، وبين أن أبا بكر صاحب رسول الله وأحب الناس إليه، وثاني اثنين إذ هما في الغار.

١٦ ـ استحباب بياض الكفن للميت، وأن يكون ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة، وأن يلحد لحداً، وأن ينصب عليه اللبن نصباً، وأن يكون مسنماً بقدر شبر فقط.

المبحث الثالث عشر: مصيبة المسلمين بموته ﷺ

من المعلوم يقيناً أن محبة النبي ﷺ محبة كاملة من أعظم درجات الإيمان الصادق؛ ولهذا قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين**»[1]. فإذا فقد الإنسان أهله، أو والده، أو ولده، لا شك أن هذه مصيبة عظيمة من مصائب الدنيا، فكيف إذا فقدهم كلَّهم جميعاً في وقت واحد؟

ولا شك أن مصيبة موت النبي ﷺ أعظم المصائب على المسلمين؛ ولهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: فتح رسول الله ﷺ باباً بينه وبين الناس، أو كشف ستراً فإذا الناس يصلون وراء

---

(١) البخاري مع الفتح ١/ ٥٨ برقم ٥، ومسلم ١/ ٦٧.

أبي بكر، فحمد الله على ما رآه من حسن حالهم، ورجاء أن يخلفه الله فيهم بالذي رآهم، فقال: «**يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أُصيب بمصيبة فلْيتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحداً من أُمتي لن يُصاب بمصيبة أشدَّ عليه من مُصيبتي**»[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء[٢]، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي[٣]

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم ١٥٩٩، وغيره وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ١/ ٢٦٧، والأحاديث الصحيحة برقم ١١٠٦، وانظر: البداية والنهاية ٥/ ٢٧٦.

(٢) أضاء منها كل شيء: أشرق من المدينة كل شيء. انظر: تحفة الأحوذي ١٠/ ٨٧.

(٣) وما نفضنا: من النفض: وهو تحريك الشيء ليزول ما عليه من التراب والغبار ونحوهما. انظر: تحفة الأحوذي ١٠/ ٨٨.

وإنا لفي دفنه[1] حتى أنكرنا[2] قلوبنا»[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ ـ لعمر: انطلق بنا إلى أمِّ أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ فما عند الله خير لرسوله ﷺ. قالت: إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن

---

(١) وإنا لفي دفنه: أي مشغولون بدفنه بعد. انظر: تحفة الأحوذي ١٠/ ٨٨.

(٢) حتى أنكرنا قلوبنا: يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والألفة لانقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان يمدهم من الرسول ﷺ من التأييد والتعليم، ولم يرد أنهم لم يجدوها على ما كانت عليه من التصديق؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم أكمل الناس إيماناً وتصديقاً. انظر: تحفة الأحوذي ١٠/ ٨٨.

(٣) الترمذي وصححه ٥/ ٥٨٩، وأحمد ٣/ ٦٨، وابن ماجه برقم ١٦٣١، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: إسناده صحيح على شرط الصحيحين ٥/ ٢٧٤، وانظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٢٧٣.

أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها»[1].

وما أحسن ما قال القائل:

اصبر لكلِّ مصيبة وتجلد واعلم بأن المرء غير مخلَّد

فإذا ذكرت مصيبة تسلو بها فاذكر مصابك بالنبي محمد

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر المستفادة من هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ ـ موت النبي ﷺ أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون.

٢ ـ إنكار الصحابة قلوبهم بعد موت النبي ﷺ؛ لفراقهم نزول الوحي وانقطاعه من السماء.

---

(١) مسلم برقم ٢٤٥٤، وابن ماجه برقم ١٦٣٥، واللفظ من المصدرين. وانظر: شرحه في النووي ١٦/ ٢٤٢.

٣ ـ النبي ﷺ أحب إلى المسلمين من النفس، والولد، والوالد، والناس أجمعين، وقد ظهر ذلك عند موته بين القريب والبعيد من أصحاب النبي ﷺ، بل وجميع المسلمين.

٤ ـ محبة الصحابة للاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ في كل شيء من أمور الدين حتى في زيارة النساء كبار السن، كما فعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

المبحث الرابع عشر: ميراثه ﷺ

عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته: دِرْهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمَةً، ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء [التي كان يركبها] وسلاحه، [وأرضاً بخيبر] جعلها [لابن السبيل] صدقة»(1). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً، ولا درهماً، ولا شاة، ولا بعيراً، ولا أوصى بشيء(2)»(3).

وقال ﷺ: «**لا نورث ما تركنا فهو**

---

(1) البخاري ٥/٣٥٦، برقم ٢٧٣٩، ٢٨٧٣، ٢٩١٢، ٣٠٩٨، ٤٤٦١، واللفظ من هذه المواضع.

(2) مسلم برقم ١٦٣٥.

(3) أي لم يوص بثلث ماله ولا غيره إذ لم يكن له مال، أما أمور الدين فقد تقدم أنه أوصى بكتاب الله وسنة نبيه، وأهل بيته، وإخراج المشركين من جزيرة العرب، وبإجازة الوفد، والصلاة وملك اليمين وغير ذلك. انظر: شرح النووي ١١/٩٧.

صدقة»[1] وذلك لأنه لم يبعث ﷺ جابياً للأموال وخازناً إنما بعث هادياً، ومبشراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، وهذا هو شأن أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام؛ ولهذا قال ﷺ: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**»[2].

وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم ذلك، فعن سليمان بن مهران: بينما ابن مسعود رضي الله عنه يوماً معه نفر من أصحابه إذ مرّ أعرابي فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ قال ابن مسعود

---

(١) البخاري في عدة مواضع من حديث عائشة ومالك بن أوس، وأبي بكر رضي الله عنهم، برقم ٣٠٩٣، ٣٧١٢، ٤٠٣٦، ٤٢٤٠، ٥٣٥٨، ٦٧٢٦، و٦٧٢٧، ٧٣٠٥. ومسلم برقم ٧٥٧، و١٧٥٨، ١٧٥٩، و١٧٦١، واللفظ لعائشة عند مسلم.

(٢) أبو داود ٣/ ٣١٧، والترمذي ٥/ ٤٩، وابن ماجه ١/ ٨٠، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٤٣.

رضي الله عنه: على ميراث محمد ﷺ يقسّمونه»[1].

فميراث النبي ﷺ هو الكتاب والسنة، والعلم والاهتداء بهديه ﷺ؛ ولهذا توفي ﷺ ولم يترك درهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمة، ولا بعيراً، ولا شاة، ولا شيئاً، إلا بغلته وأرضاً جعلها صدقة لابن السبيل.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير»[2]. وهذا يبين أن النبي ﷺ كان يتقلل من الدنيا، ويستغني عن الناس؛ ولهذا لم يسأل الصحابة أموالهم أو يقترض منهم؛ لأن الصحابة لا يقبلون رهنه وربما لا يقبضوا منه الثمن، فعدل إلى معاملة اليهودي؛ لئلا يضيِّق

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي بسنده في شرف أصحاب الحديث ص٤٥.

(٢) البخاري برقم ٢٠٦٨ وكرره بفوائده في عشرة مواضع، ومسلم برقم ١٦٠٣، وانظر: جميعها في مختصر البخاري للألباني ٢/ ٢١.

على أحد من أصحابه ﷺ[1]. وقد كان ﷺ يصيبه الجوع وهو حي؛ ولهذا يمر ويمضي الشهر والشهران وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، قال عروة لعائشة رضي الله عن الجميع: ما كان يقيتكم؟ قالت: «الأسودان: التمر والماء...»[2]. ومع هذا كان يقول ﷺ: **«مالي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها»**[3].

وخلاصة القول: أن الدروس والفوائد والعبر في هذا المبحث كثيرة، ومنها:

١ - الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا لجمع الأموال وإنما بعثوا لهداية الناس

---

(١) انظر: شرح النووي ١١/ ٤٣.

(٢) انظر: البخاري مع الفتح ١١/ ٢٨٣.

(٣) أحمد ٦/ ١٥٤ وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٨٤، وإسناده جيد، وأخرجه الترمذي وغيره، وانظر: الأحاديث الصحيحة برقم ٤٣٩، وصحيح الترمذي ٢/ ٢٨٠.

وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ ولهذا لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

٢ ـ زهد النبي ﷺ في الدنيا وحطامها الفاني؛ وإنما هو كالراكب الذي استظل تحت شجرة ثم راح وتركها.

٣ ـ استغناء النبي ﷺ عن سؤال الناس فهو يقترض ويرهن حتى لا يكلف على أصحابه؛ ولهذا مات ودرعه مرهونة في ثلاثين صاعاً من شعير.

٤ ـ شدة الحال وقلة ما في اليد عند النبي ﷺ؛ ولهذا يمضي الشهر والشهران ولم توقد في أبياته نار، وإنما كان يقيتهم الأسودان.

فصلوات الله وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار، وأسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا من أتباعه المخلصين، وأن يحشرنا في زمرته يوم الدين.

المبحث الخامس عشر: حقوقه ﷺ على أمته

للنبي الكريم ﷺ حقوق على أمته وهي كثيرة، منها: الإيمان الصادق به ﷺ قولاً وفعلاً وتصديقه في كل ما جاء به ﷺ، ووجوب طاعته والحذر من معصيته ﷺ، ووجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه، وإنزاله منزلته ﷺ بلا غلوٍّ ولا تقصير، واتباعه واتخاذه قدوة وأسوة في جميع الأمور، ومحبته أكثر من النفس، والأهل والمال والولد والناس جميعاً، واحترامه وتوقيره ونصر دينه والذب عن سنته ﷺ، والصلاة عليه؛ لقوله ﷺ: **«إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه: خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ»** فقال رجل: يا رسول الله! كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يعني بليت. قال: **«إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**[1].

---

(١) أبو داود ١/ ٢٧٥، وابن ماجه ١/ ٥٢٤، والنسائي ٣/ ٩١، وصححه الألباني في صحيح النسائي ١/ ١٩٧.

وإليك هذه الحقوق بالتفصيل والإيجاز كالتالي:

١ - الإيمان الصادق به ﷺ وتصديقه فيما أتى به قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١)، ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٢)، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣)، ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾(٤)، وقال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا**

(١) سورة التغابن، الآية: ٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١٣.

إلـه إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به»[1].

والإيمان به ﷺ هو تصديق نبوته، وأن الله أرسله للجن والإنس، وتصديقه في جميع ما جاء به وقاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان، بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة باللسان ثم تطبيق ذلك بالعمل بما جاء به تمَّ الإيمان به ﷺ[2].

٢- وجوب طاعته ﷺ والحذر من معصيته، فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته؛ لأن ذلك مما أتى به، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾[3]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

---

(١) مسلم ١/ ٥٢.

(٢) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض ٢/ ٥٣٩.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(١) ، ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾(٢) ، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣) ، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٤) ، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(٥) ، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٦) .

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧١.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٦) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله**»[1]، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل الناس يدخل الجنة إلا من أبى، قالوا يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجُعِلَ رِزقي تحت ظلِّ رمحي، وجُعِلَ الذِّلُّ والصَّغارُ على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**»[3].

---

(١) البخاري مع الفتح ١٣/ ١١١ برقم ٧١٣٧.
(٢) البخاري مع الفتح ١٣/ ٢٤٩ برقم ٧٢٨٠.
(٣) أحمد في المسند ١/ ٩٢، والبخاري مع الفتح معلقًا ٦/ ٩٨، وحسنه العلامة ابن باز، وانظر: صحيح الجامع ٣/ ٨.

٣- اتباعه ﷺ واتخاذه قدوة في جميع الأمور والاقتداء بهديه، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(١)، ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾(٣) فيجب السير على هديه والتزام سنته والحذر من مخالفته، قال ﷺ: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(٤).

٤- محبته ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٤) البخاري مع الفتح ٩/ ١٠٤ برقم ٥٠٦٣.

ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[2].

وقد ثبت في الحديث أن من ثواب محبته الاجتماع معه في الجنة وذلك عندما سأله رجل عن الساعة فقال: «ما أعددت لها؟» قال: يا رسول الله م أعددت لها كبير صيام، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: «**فأنت مع مز**

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٢) البخاري مع الفتح ١/ ٥٨ برقم ١٥، ومسلم ١/ ٦٧.

أحببت»[1] . قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ: «**فإنك مع من أحببت**»، فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر، وعمر. فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم[2].

ولما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يارسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**»، فقال له عمر فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»[3]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال

---

(١) البخاري مع الفتح ١٠/ ٥٥٧ و١٣/ ١٣١، ومسلم ٤/ ٢٠٣٢.
(٢) مسلم ٤/ ٢٠٣٢.
(٣) البخاري مع الفتح ١١/ ٥٢٣.

رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**»[1].

وعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذاق طعم الإِيمان من رضي بالله رباً، وبالإِسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**»[2].

وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإِيمان: من كان اللهُ ورسولهُ أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[3].

ولا شك أن من وفَّقه الله تعالى لذلك ذاق طعم الإِيمان ووجد حلاوته، فيستلذ الطاعة ويتحمل المشاق في رضى الله عز وجل ورسوله ﷺ، ولا يسلك

---

(١) البخاري مع الفتح ١٠/ ٥٥٧.
(٢) مسلم في صحيحه ١/ ٦٢.
(٣) البخاري مع الفتح ١/ ٧٢، ومسلم ١/ ٦٦ وتقدم تخريجه ص ٦٦.

إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ؛ لأنه رضي به رسولاً، وأحبه، ومن أحبه من قلبه صدقاً أطاعه ﷺ؛ ولهذا قال القائل:

تعصي الإلٰه وأنت تُظْهر حُبَّهُ
هذا لعمري في القياسِ بديعُ
لو كان حُبَّكَ صادقاً لأطعته
إن المحُبَّ لمن يُحبُّ مُطيعُ[1]

وعلامات محبته ﷺ تظهر في الاقتداء به ﷺ، واتباع سنته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، ولا شك أن من أحب شيئاً آثره، وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه ويكون مدّعياً[2].

---

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٢/ ٥٤٩ و ٢/ ٥٦٣.
(٢) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٢/ ٥٧١-٥٨٢.

ولا شك أن من علامات محبته: النصيحة له؛ لقوله ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1]. والنصيحة لرسوله ﷺ: التصديق بنبوته، وطاعته فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ومُؤازرته، ونصرته وحمايته حياً وميتاً، وإحياء سنته والعمل بها وتعلمها، وتعليمها والذب عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة[2].

٥- احترامه وتوقيره ونصرته كما قال تعالى ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[3]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

(١) مسلم ١/ ٧٤.
(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض ٢/ ٥٨٢-٥٨٤
(٣) سورة الفتح، الآية: ٩.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ﴾[2].

وحرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره لازم كحال حياته وذلك عند ذكر حديثه، وسنته، وسماع اسمه وسيرته، وتعلم سنته، والدعوة إليها، ونصرتها[3].

٦- الصلاة عليه ﷺ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[4]، وقال ﷺ: «.. **من صلّى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً**»[5]، وقال ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً**

(١) سورة الحجرات، الآية: ١.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٣) الشفاء ٢/ ٥٩٥ و ٦١٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٥) أخرجه مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ١/ ٢٨٨.

وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[1]، وقال ﷺ: «البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ»[2]، وقال ﷺ: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلّوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[3]، وقال ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام»[4]، وقال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: «رغم أنف عبد ـ أو بعُد ـ ذُكِرتَ عنده فلم يصلّ عليك» فقال ﷺ: «آمين»[5]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد

(١) أبو داود ٢/ ٢١٨، وأحمد ٢/ ٣٦٧، وانظر: صحيح أبي داود ١/ ٣٨٣.
(٢) الترمذي ٥/ ٥٥١، وغيره، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ١٧٧.
(٣) الترمذي، وانظر: صحيح الترمذي ٣/ ١٤٠.
(٤) النسائي ٣/ ٤٣، وصححه الألباني في صحيح النسائي ١/ ٢٧٤.
(٥) ابن خزيمة ٣/ ١٩٢، وأحمد ٢/ ٢٥٤، وصححه الأرنؤوط في الأفهام.

عليه السلام»[1].

* وللصلاة على النبي ﷺ مواطن كثيرة ذكر منها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى واحداً وأربعين موطناً منها على سبيل المثال: الصلاة عليه ﷺ عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه، وفي أثناء صلاة العيدين بين التكبيرات، وآخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند الوقوف على قبره، وعند الهم والشدائد وطلب المغفرة، وعقب الذنب إذا أراد أن

---

(١) أخرجه أبو داود ٢/ ٢١٨ برقم ٢٠٤١، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ١/ ٢٨٣.

يكفر عنه، وغير ذلك من المواطن التي ذكرها رحمه الله في كتابه[1].

ولو لم يرد في فضل الصلاة على النبي ﷺ إلا حديث أنس رضي الله عنه لكفى «من صلى عليَّ صلاةً واحدة صلى الله عليه عشر صلوات[2]، [كتب الله له بها عشرة حسنات][3] وحط عنه بها عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات»[4].

٧- وجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ

---

(١) راجع كتاب جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى.

(٢) السياق يقتضي «و».

(٣) هذه الزيادة من حديث طلحة في مسند أحمد ٤/ ٢٩.

(٤) أحمد ٣/ ٢٦١، وابن حبان برقم ٢٣٩٠ (موارد)، والحاكم ١/ ٥٥١، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه لجلاء الأفهام ص ٦٥.

وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1] ، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[2] ويكون التحاكم إلى سنته وشريعته بعده ﷺ.

٨- إنزاله مكانته ﷺ بلا غلو ولا تقصير فهو عبد الله ورسوله، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين، وهو سيد الأولين والآخرين، وهو صاحب المقام المحمود والحوض المورود، ولكنه مع ذلك بشر لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ ﴾[3] ، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۞ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾[2]، وقد مات ﷺ كغيره من الأنبياء ولكن دينه باقٍ إلى يوم القيامة ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[3]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[4]، وبهذا يعلم أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[5].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨. (٢) سورة الجن، الآيتان: ٢١، ٢٢.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٠. (٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ٣٤، ٣٥.
(٥) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

الفهـرس